الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 10 أيار 2025
العدد 5490 السنة التاسعة عشرة
Samedi 10 Mai 2025 no 5490 19ème année

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات
باسل الأعرج
يُلهب قلب «كولومبيا»

الانتخابات البلدية

البترون
باسيل يواجه «الحلف الثلاثي»
2

عكار
معارك وفق اعتبارات عائلية أولاً!
4

طرابلس
كوكتيل مرشّحين ولوائح بلا برامج
5

بريطانيا في وزارة الداخلية:
نريد مسحاً لكلّ المقيمين في لبنان
3

أميركا - إسرائيل
أكبر من خلاف وأقلّ من طلاق
7 - 9

(أ ف ب)

الانتخابات البلدية

انتخابات الشمال
المسلمون يتنافسون على المواقع والمسيحيون يواصلون الفرز السياسي

الانتخابات البلدية في مرحلتها الثانية، لا تبدو مختلفة كثيراً عن المرحلة الأولى. ذلك أن المختلط بين السياسي والعائلي في المعارك المتوقّعة، يخلو أيضاً من أي بعد إنمائي أو متّصل برفع شأن المدن والبلدات والقرى، في محافظة تشهد غياباً تاماً لعمل الدولة ولعمل القطاع الخاص. وتُترك رهينة بعض الفُتات الذي يأتي على شكل مال سياسي أو ناجم عن حراك محدود، ما يجعل أبناء الشمال عموماً، عرضة لعملية تهجير دائمة، داخلياً أو خارجياً، بحثاً عن العلم والعمل والاستقرار.

وفي بلد تنخره الجوانب الطائفية والمذهبية، فإن الانتخابات المتوقّعة، لن تضيف شيئاً نوعياً على المشهد اللبناني، لا بل إن المتنافسين، لا يقودون معارك خارج الإطار الذي وُضع فيه لبنان منذ العدوان الإسرائيلي الواسع عليه. ولذلك، فإن المشهد المعقّد سياسياً وعائلياً ومحلياً، يقود إلى تقديرات أساسية منها:

أولاً: لا توجد حماسة جدّية عند الجمهور للمشاركة في الانتخابات البلدية، ويتوقّع أن لا ترتفع نسب التصويت عمّا كانت عليه في جبل لبنان، مع تقديرات بأن تكون أقل. وهو أمر ناتج أساساً من غياب الثقة لدى الجمهور بإمكانية التغيير الفعلي، وبفعل قرار القوى الكبيرة عدم تحريك الماكينات الانتخابية، وما يعني ذلك من إنفاق مالي.

ثانياً: يعاني الشمال مثله مثل بقية المناطق من مرض المنافسة على تولّي مراكز سلطوية. وهو أمر يجعل الترشيح للانتخابات البلدية يأخذ بعداً شخصياً، ينعكس مشكلة في تركيب اللوائح والتحالفات. وقد يهدّد بعض التنوع في بلديات كبيرة مثل طرابلس.

ثالثاً: لا يبدو أن المسلمين في كل الشمال، يقتربون من مواجهة تهدف إلى تحقيق فرز سياسي. وبين عزوف تيار «المستقبل» وحياد المرجعيات النافذة، لم يظهر أن الطرف الخارجي، والمقصود به السعودي، في وارد رعاية معركة كونه لا يجد بين المتنافسين من هو في موقع الخصومة مع الرياض. وهذا يعني أن المنافسة القائمة الآن تأخذ في غالبية المناطق بعداً عائلياً ومحلياً ضيقاً.

رابعاً: كما في جبل لبنان، فإن البعد السياسي يمكن تلمّسه في المعارك داخل البلديات حيث الغالبية من الناخبين هي من المسيحيين. وهذا ما سيظهر في أقضية البترون والكورة وزغرتا وبشري إلى جانب بعض بلديات عكار. وفي هذا السياق، توجد معركة تثبيت الحضور، بين قوى ترى أن الظرف مناسب لتعزيز سطوتها السياسية، كحال «القوات اللبنانية» والشخصيات أو المجموعة الحليفة لها، وهؤلاء سيواصلون تحريض الناس على خلفية أن خصومهم، من التيار الوطني الحر إلى تيار المردة إلى الحزب القومي هم من «أنصار الممانعة التي هُزمت». وهو شعار يفترض هؤلاء أنه سيحرّض الناس على المشاركة.

عملياً، يغيب عن انتخابات الغد، أي نقاش جدّي ونوعي حول واقع البلديات في كل الشمال. وحيث لا يسمع الناخبون ولا الرأي العام، أي تصور جدّي، لبناء واقع تنموي مختلف، وهو ما يظهر هذه المنطقة في صورة الكسل المستمر منذ عقود، حتى ولو كانت الدولة هي أول من مارسه.

(الأخبار)

البترون
صراع بين «الحلف الثلاثي» وباسيل

رلى إبراهيم

لا يختلف وضع انتخابات البترون البلدية عن انتخابات المتن الشمالي وكسروان وجبيل. ففي هذا القضاء أيضاً تتنافس العائلات بدعم واضح من الأحزاب حيناً ومن تحت الطاولة أحياناً، فيما المعركة الأهم تتركّز على الفوز باتحاد البلديات. ولأن «القوات اللبنانية» غير قادرة بمفردها على الظفر بأكثر من بلدية أو اثنتين، فإن طموحها إلى توجيه ضربة إلى رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل في معقله، حتّم عليها دخول «حلف ثلاثي» مع حزب الكتائب ومجد بطرس حرب، سعياً للفوز بأكثر من 14 بلدية في القضاء بما يجعل الاتحاد في جيب هذه القوى.

في جبيل والمتن الشمالي وبعبدا، عملت معراب على التراجع والانكفاء حيث لا قدرة لها على المواجهة. وضمن الاستراتيجية نفسها قرّرت تفادي خوض معركة في مدينة البترون، وفضّلت البقاء على الحياد خلف العائلات ضمن لائحة ائتلافية غالبيتها من التيار ويرأسها الرئيس الحالي للبلدية والاتحاد مرسيليو الحرك المقرّب من باسيل، ضد لائحة غير مكتملة برئاسة ميشال الدغل.

أمّا في شكا، إحدى أبرز البلديات لناحية موازنتها المالية، والتي تعادل أهميتها البترون وتنورين، مع العلم أنها ليست عضواً في الاتحاد، فيبدو الوضع معقّداً، إذ تتواجه لائحة برئاسة إسكندر الكفوري، ابن الرئيس الحالي، وتضم عائلات إلى جانب وجوز وإزن للتيار، مع أخرى برئاسة غابي بطرس مداورة مع جورج عبود، وهي لائحة مدعومة من «القوات» والكتائب، وجزء من شباب التيار.

ومن شكا إلى حامات، حيث شكّل التيار لائحة من العائلات برئاسة رياض حليحل ودعم من تيار المردة، في وجه لائحة شبابية بنفس قوّاتي، تضم نجل أحد مسؤولي «القوات» وتحظى بدعم من «الكتائب» وحرب. وفي دوما، فوّتت لائحة غير مكتملة على لائحة ائتلافية برئاسة زينة أيوب الفوز بالتزكية. أمّا في عبرين، فيترأس الموظف في قناة «أم تي في»، الآن ضرغام، بالمداورة مع عادل شاهين، لائحة مدعومة من ثلاثي «القوات» - «الكتائب» - حرب، في وجه لائحة يترأسها بالمداورة أيضاً جوزيف ساسين وساسين صليبيا بدعم من التيار و«المردة». وفي بقسمايا، تتواجه لائحتان؛ الأولى مدعومة من التيار والثانية من «القوات» و«الكتائب».

وفي تنورين، مسقط رأس بطرس حرب، تغيب أيضاً، كما البترون، المعركة السياسية، رغم أن بلديتها من أكبر بلديات القضاء (18 عضواً)، وتتواجه فيها لائحة شكّلها حرب و«القوات» باسم «تنورين قبل الكل»، بتقاسم واضح للأعضاء (10 لحرب و8 للقوات)، ضدّ لائحة «تجمّع تنمية تنورين» الشبابية، وغير المدعومة سياسياً، ولا سيما من التيار.

وقد بلغت حصيلة الترشيحات في البترون 627 مرشحاً للمجالس البلدية، و273 مرشحاً لمنصب مختار وبصالا اختياري. وفازت بلدية بيت شلالا وبلدية راشكيدا المُستحدثة بالتزكية، فيما فاز 28 مختاراً بالتزكية، من أصل 85 مختاراً.

(هيثم الموسوي)

الكورة: «القوات» ضدّ عبد المسيح

على عكس البترون، حيث دخلت معراب في تحالف ضروري لمواجهة باسيل وكسره، فشلت «القوات» في الحفاظ على أيّ تحالف في قضاء الكورة، خصوصاً بعد غدرها بال مكاري في أنفة، وانقلابها على الاتفاق معهم. لكنها وجدت لنفسها غريماً آخر ترغب بإقصائه، هو النائب أديب عبد المسيح الذي يأكل من صحنها، ومعركتها معه وجودية لضمان عدم خسارة أصوات انتخابية في القضاء لصالحه. هكذا بات المشهد في الكورة واضحاً: في البلدات التي يحظى فيها عبد المسيح بحيثية، تخوض «القوات» معركتها ضدّه حتى لو اضطرها الأمر إلى التحالف مع خصميها النائب السابق سليم سعادة والحزب السوري القومي الاجتماعي. وفي المناطق التي يوجد فيها تمثيل لـ«المردة» و«التيار»، تدعم «القوات» أي لائحة في مواجهتهما. والعين كما في كل الأقضية هي على الفوز برئاسة الاتحاد الذي يضم 36 بلدية، علماً أن وضع الكورة لا يختلف عن غيرها لناحية تداخل الطابع العائلي والسياسي.

يشار إلى أن «القومي» يخوض الانتخابات البلدية مُوحّداً (حزبياً) باستثناء بلدتَي أميون وكفرحزير، حيث عصفت به الخلافات وأدّت إلى انقسامه في لائحتين. ففي أميون، نشب خلاف عائلي بين أولاد الخالات المُتصارعين على النفوذ، لتُشكّلوا لائحتين مُتواجهتين. ودعم كل طرف لائحته بالأحزاب والشخصيات السياسية. فنسج رئيس البلدية الحالي مالك فارس تفاهماً مع «القوات» بدعم من سعادة، ضدّ لائحة يرأسها بسام عبيد مدعومة من المهندس غسان رزق، و«القومي» بشكل رسمي، إضافة إلى التيار والشيوعيين. وفي كفرحزير، مسقط رأس عبد المسيح، اختار مدير مكتب سعادة، جورج ضاهر، تشكيل

> تسعى «القوات» لإقصاء النائب أديب عبد المسيح في الكورة لأنه يأكل من صحنها

لائحة بالتحالف مع «القوات»، ضدّ لائحة مدعومة من الأول، إضافةً إلى التيار، و«القومي» بشكل رسمي. وإذا كان وضع أميون مفهوماً، فتحالفات كفرحزير مستغربة، إذ لا خلافات عائلية، وإنما مجرد سعي من ضاهر لإبقاء البلدة تحت نفوذه الشخصي. وفي البلدتين، يساهم سعادة في توسيع الشرخ وتقليب القاعدة ضدّ بعضها، الأمر الذي استغلّته «القوات» للتسلل إلى اللوائح.

ولأن الاعتبارات العائلية غالباً ما تفرض نفسها على الاعتبارات السياسية، تكرّرت تحالفات الأضداد في بلدة دده بين «القوات» و«المردة»، مقابل لائحة مدعومة من «القومي» و«الشيوعي» والتيار وعبد المسيح والجماعة الإسلامية. وفي برزيا، تحالف «المردة» مع «القوات» عكس توجّهات «القومي»، ما سيؤدي في حال فوز اللائحة الأولى إلى وصول رئيس بلدية قوّاتي. وأوضحت المصادر أن هذه التوجّهات راعت «طبيعة التركيبة العائلية، إذ كان من الضروري التحالف مع القوات لتفادي كسر بعض الأشخاص، حتى لو أن الأمر سيؤثّر على رئاسة الاتحاد، فالأولوية للانتخابات النيابية والمحافظة على القاعدة وليس الفوز بالاتحاد».

وفي كسبا أيضاً، جرى التوافق بين «القوات» وفادي غصن، شقيق النائب الراحل فايز غصن، المحسوب على «المردة»، الأمر الذي اعتبرته المصادر «لعبة مقصودة من غصن لتوفير جهوده ومعاركه إلى موعد الانتخابات النيابية».

وفي كفرعقا، تواجه العائلات المدعومة من «القومي» و«المردة» و«التيار» «محاولات استئثار القوات بالبلدية». أمّا في كفرحتا، فعصفت التضاربات الداخلية بتحالف «المردة» و«القوات»، ما أدّى إلى انسحاب جميع الأعضاء من اللائحة التي كانت على وشك إبصار النور، ليبقى فيها 3 أفراد فقط، مقابل لائحة برئاسة أنيس فرح مدعومة من القيادي القومي حسان صقر، لتصبح بحكم الرابحة. مع العلم أن كفرحتا هي عاصمة قرى القيطع، المؤلّفة من 7 بلدات: كفرحتا وكفريا وبدنايل وبتعبورة (فازت بالتزكية) وكفتون وإجدعبرين والمجدل. وإلى جانب بتعبرين، فازت 9 بلديات أخرى بالتزكية، هي: بكفتين وبشمزين وبصرما وبتعبورة ودارشمزين وعفصديق وبترومين وكوسبا وكفرصارون ورشديين. وأشارت المصادر إلى أن 8 من 10 بلديات فائزة بالتزكية محسوبة على تحالف التيار - «المردة» - «القومي» - «الشيوعي» في مواجهة «القوات». وبذلك، يتقدّم التحالف في معركة الاتحاد، مع توقّعه الفوز بـ 23 أو 24 بلدية من أصل 36 بلدية. يشار إلى أن العرف الذي أرساه النائبان الراحلان فريد مكاري وفايز غصن والنائب السابق سليم سعادة، هو أن يرأس الاتحاد مارونيّ، حتى لا يأتي أرثوذكسي، وينافسهم على المقاعد النيابية، الأمر الذي يقول القوميون إنهم غير ملتزمين به.

مكاري لـ«القوات»: «أنتم الغدر والخيانة»

لأنفة وضعها الخاص، كونها أكبر البلدات انتخابياً في الكورة، وتُصوّت أكثر من أميون، وهي بلدة النائب الراحل فريد مكاري. منذ البداية، عقدت «القوات» مع آل مكاري اتفاقاً لترشيح شخصية وسطية هي ميشال نخول. واستمر الوضع على ما هو عليه إلى حين موعد إقفال باب الترشيحات، حينما انقلبت معراب على الاتفاق، وسط عدم قدرة آل مكاري على تبنّي مرشحين جدد. وعليه، نشر نبيل مكاري، نجل شقيق النائب الراحل فريد مكاري، بياناً تحت عنوان: «قوات الغدر والخيانة»، قال فيه إنه بتاريخ 30 نيسان «وقعت الخيانة في آخر ساعتين، وحصل ما لن يُنسى لسنوات طويلة قادمة»، من قبل «الحزب ذاته الذي كان ذات يوم بحاجة ماسّة إلى الدعم، ليبقى قائماً في قضاء الكورة».

واتّهم مكاري «القوات» بنقض الاتفاق معها على تبنّي نخول لرئاسة بلدية أنفة، والاصطفاف وراء مرشح آخر وتشكيلة جديدة «تخطيط على الأرض من رشاد نقولا، وبسكوت متواطئ من النائب فادي كرم». واعتبر مكاري أن «الخيانة لم تكن ضد اسم، بل ضد ذكرى إرث سياسي عريق ووفاء يجب أن لا يُمس»، لينهي البيان بتأكيد أن المسألة اليوم «ليست اختلافاً في وجهات النظر، بل كانت خطة مدروسة لإقصاء آل مكاري عن الخارطة البلدية. ولم تكن مصادفة أن تتم في آخر لحظة، بل كانت مقصودة وموجّهة ومُهيئة».

وفي ظلّ عدم استعداد آل مكاري للمعركة الانتخابية، بعد انسحاب «القوات» من تحالفها معهم، فضّل مكاري الابتعاد عن البلدة والتوجه إلى بيروت. أمّا ابن عمه وجودي مكاري، ابن رئيس البلدية السابق مكارم مكاري، اللذين يحظيان بنفوذ في أنفة، فبقيا ليخوضا المعركة ضدّ «القوات»، عبر دعم لائحة جورج دعبول المدعومة أساساً من التيار و«القومي» و«المردة».

بريطانيا تستغلّ برنامج «التمكين البلدي»
مسح كامل ديموغرافيا لبنان... والنزوح السوري

ندى أيوب

تحت عنوان «التمكين البلدي»، عُرض على وزارة الداخلية والبلديات مشروعٌ من «برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» (UNDP)، و«برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية» (UN-Habitat)، ويموّله «الاتحاد الأوروبي»، يهدف إلى «تعزيز قدرة البلديات والمجتمعات المضيفة للنازحين السوريين على الصمود، على المدى الطويل».

عدا عبارة «المدى الطويل» التي تخدم خطة المجتمع الدولي في تشجيع السوريين على البقاء في لبنان، كان هناك أمران لفتا نظر المعنيين في وزارة الداخلية، التي تلقّت المشروع في عهد الوزير السابق القاضي بسام المولوي، لكنها رفضت تنفيذه بصيغته المطروحة. وذلك لأسباب عدة منها، ادّعاء «UNDP» بأن تنفيذ المشروع يتطلّب من كلّ بلدية تعبئة استبيان مُؤلّف من مئات الأسئلة، يؤدّي إلى مسح ديمغرافي ومالي شامل، بما في ذلك توزّع النازحين على الأراضي اللبنانية. والأمر الآخر أن البيانات سيتم إدخالها وتحليلها وحفظها على منصة «IMPACT»، الشهيرة بسوء سمعتها، لجهة حماية البيانات، ولا سيما أن المنصة رفضت طلبات تقنية للوزارة.

والآن، يترقّب المعنيون ما إذا كانت مديرة مؤسسة «سايرن» البريطانية غير الحكومية، كارول شراباتي، على صعيد لبنان ككل، وكذلك على صعيد كل بلدة، وكل اتحاد بلديات، وتالياً التركيبة الديموغرافية، على صعيد كل بلدة، وكل اتحاد بلديات، وتالياً أماكن توزّع النازحين، إضافةً إلى أنواع المشاريع وعمليات التوظيف والبيانات المالية.

قدّم المشروع إلى المديرية العامة للإدارات والمجالس المحلية (DGLAC)، لأنها تؤدّي دوراً حاسماً في توفير الإشراف الإداري على البلديات، وبناء القدرات، إضافة إلى دعم التخطيط. وكون المديرية تواجه تحديات مزمنة ترتبط بالتمويل غير الكافي، إضافة إلى النقص في الموظفين، وقصور في الرقمنة، أتى هذا المشروع، بهدف «إعداد استراتيجية دعم بلدي، وخطة تنفيذ تشمل احتياجات البلديات، والمجتمعات المضيفة للنازحين السوريين، لتمكينها من الصمود». في هذا الشقّ، كان رأي المعنيين في دراسة المشروع، أنه من غير المنطقي «التبرّع»، بهذا الكم الهائل من «الداتا»، لوضع استراتيجية دعم بلدي.

هذا الحذر تضاعف، مع إدراكهم أن «IMPACT» ستكون المنصة المعتمدة، لجمع البيانات وتحليلها. صحيح أن المنصة لها وجود في وزارة الداخلية، تحت اسم منصة البلديات المشتركة للتقييم والتنسيق، لكنّ هذا الوجود المشبوه، حذّرت منه أجهزة أمنية عدّة، في عام 2023، لأن «سايرن»، وهي الشركة التي أنشأت «IMPACT»، حصرت الوصول إلى بيانات اللبنانيين الموضوعة على المنصّة بموظفيها، واحتفظت بالبيانات على خوادم في ألمانيا وهولندا، ليس معروفاً من له حقّ الولوج إليها. وعندما ادّعت المنصة رداً على التقارير الأمنية، بأن البيانات محفوظة على خوادم موجودة في هيئة «أوجيرو»، طلبت لجنة تحقيق مؤلّفة من عدد من الضباط الكشف عليها، لترفض المنصة ذلك.

ويعود أصل وجود المنصة، إلى مُذكّرة تفاهم بقيمة ثلاثة ملايين دولار، وقّعها رئيس هيئة التفتيش المركزي، القاضي جورج عطية، مع السفارة البريطانية ممثّلة بالسفير إيان كولارد، تحت عنوان «دعم (إدارة التفتيش) ومساعدتها في تعزيز رقابتها وتفعيل تعاونها مع الإدارات والمؤسسات العامة». وقد أفضت المذكّرة إلى إنشاء مؤسسة «سايرن» البريطانية غير الحكومية، لمنصة «IMPACT»، وإدارة برامج المساعدات المالية، مثل طلبات الحصول على البطاقة التموينية وبرنامج شبكة «الأمان» الاجتماعي. وكذلك استُخدمت لتسجيل طلبات لقاحات «كورونا» وأذونات التنقل خلال الجائحة. ولاحقاً استُخدمت لتسجيل طلبات المتأثرين من انفجار المرفأ.

> ضمّن مشروع «التمكين البلدي» استمارة إلكترونية بمئات الأسئلة موجّهة لكل بلدية

لتسجيل طلبات الحصول على مواعيد في مصلحة النافعة لتسجيل السيارات. وحصل ذلك رغم المراسلات الخطية التي بعثت بها المديرية العامة للأمن العام، إلى رئيس الحكومة السابق نجيب ميقاتي، والوزارات المعنية، وقد حذّر الأمن العام من تأثيرات أمنية سلبية، لاستخدام «IMPACT».

لكنّ محاولات اختراق الدولة ومؤسساتها لم تتوقف عند هذا الحد. فقد عرض نائب رئيس الحكومة السابق سعادة الشامي، في شباط 2024، ورقةً على مجلس الوزراء، تتضمن مشروعاً لجعل «IMPACT» منصة تختصر كل عملية التحوّل الرقمي في لبنان، ويُعتمد عليها، حصراً، في تكوين قاعدة بيانات رقمية شاملة للدولة. وهو بالضبط هدف الجهات المسؤولة عن المنصة. لكنّ الأمور لم تسر وفق تصورات الشامي وشراباتي والبريطانيين.

وإذا كانت التبعات قد تتقلّص بعد سنوات بحكم تقادم «الداتا» المحفوظة حالياً على المنصة، فإن أي طرح لتوسيع عملها، يعني عملياً، السماح للجهات التي تقف خلفها بوضع اليد على بيانات أضخم يجري تحديثها باستمرار، ما يُشكّل خطراً استراتيجياً على الأمن القومي. وقد سبق للفريق التقني الذي كلّفه الوزير السابق بسام المولوي، أن قدّم في شباط 2024، ملاحظاته حول المشروع وهي:

- إنشاء منصة للمشروع، تُجمع عبرها «الداتا»، ولا تكون مرتبطة بـ «IMPACT» تفادياً لنفور البلديات من التعاون بسبب سمعة المنصة، على أن تتملّك وزارة الداخلية المنصة الجديدة، مع شرط تسليم النص البرمجي المصدري (Source Code) للمديرية العامة في «الداخلية».

- خوادم خاصة لجمع البيانات الخاصة بالمشروع، وعند الانتهاء، يُصبح ملكاً للمديرية العامة في وزارة الداخلية. ولا تحتفظ أي جهة أخرى بأي نسخة من الأقراص الصلبة التابعة للخادم، التي تُحفظ عليها «الداتا».

- تأمين الاتصال بالإنترنت من خلال IP مُخصّص للخادم («Dedicated IP»)، عبر هيئة «أوجيرو»، وليس عبر شركات خاصة.

-امتلاك المديرية العامة وحدها حق استخدام اسم المستخدم وكلمة سر الخادم، («Admin Name» و«Password»).

-تزويد المديرية العامة بطوبولوجيا الشبكة («Network Topology»)، أي تزويدها بالتصميم.

وقد عقد الفريق التقني، اجتماعات عدّة مع شركة «سايرن»، المُلتزمة بـ «IMPACT»، للبحث في الضمانات الأمنية تلك، وانتهت بعدم الاتفاق، نتيجة عدم إبداء الشركة إيجابية، حيال أيّ نقاش يتّصل بأمن البيانات.

السفير البريطاني السابق إيان كولارد مع رئيس «التفتيش المركزي» القاضي جورج عطية (من الويب)

الانتخابات البلدية

«أم المعارك» في فنيدق... وتوافق مسيحي في القبيات

حماوة انتخابية في عكار: الاعتبارات العائلية أولاً

(أرشيف)

نجلة حمود

تعكس الجولة على خريطة محافظة عكار، التي تتحضر لمعركة انتخابية في 86 بلدية، بعد فوز 48 بلدية بالتزكية، صورة المنطقة ومزاج ناخبيها المُشوّش بين الأحزاب والتيارات السياسية والعائلات والمناطق والحسابات الشخصية. وقد أخذت العائلات ومن خلفها الفاعليات السياسية والحزبية الوقت الكافي لنسج تحالفاتها، ورصدت للفوز مبالغ مالية هائلة. ورغم سعي القوى السياسية الفاعلة في المحافظة، تيار المستقبل والتيار الوطني الحر و«القوات اللبنانية»، إلى التلطّي خلف العائلات، إلّا أنه سيتم فور إعلان النتائج غربلة البلديات وتحديد الأحجام سعياً إلى الفوز برئاسة الاتحادات (13 اتحاداً)، للإمساك بمفاصل السلطة المحلية، قبل عام واحد من الانتخابات النيابية المقبلة.

البعريني يُدير المعركة شخصياً

«أمّ المعارك» ستُخاض في بلدة فنيدق، حيث للمعركة طابع سياسي بامتياز، مع تولي النائب وليد البعريني شخصياً المعركة الانتخابية، في مواجهة لائحة «فنيدق تستحق»، المدعومة من المنسق العام لتيار المستقبل رئيس اتحاد بلديات جرد القبيعة عبد الإله زكريا والمرشح السابق محمد عجاج إبراهيم والنائب السابق خالد زهرمان. وفنيدق، هي مسقط رأس مفتي عكار الشيخ زيد بكار زكريا الذي أعلن مراراً وقوفه على الحياد، إلّا أن الأجواء المحمومة في البلدة أعادت إلى الأذهان معركة الإقتاء التي خاضها البعريني ضد ابن بلدته.

وتحظى لائحة «فنيدق تستحق» بإجماع عائلي واحتضان واسع، لا سيما أنها تضم مجموعة من الأطباء والمهندسين، إضافةً إلى سيّدتين في سابقة على مستوى جرد القبيعة. أمّا بلدة مشمش، فستخضع لامتحان تثبيت التوافق الذي عملت عليه القوى والفاعليات السياسية والعائلية على مدار أشهر، ولا سيما مع استمرار رئيس البلدية السابق محمد بري في ترشحه، رغم عدم امتلاكه أي حظوظ للفوز، ما أفشل فرصة التزكية. ووسط توجيه اتهام لأحد النواب الحاليين بعرقلة التوافق، ستخوض البلدة التي تضم 12,500 ناخب معركة بين لائحتي «التوافق والإنقاذ» و«مشمش الحضارة والكرامة».

ونزولاً إلى ساحل القبيعة، تتجه بلدة ببنين، كبرى بلدات عكار (21 عضواً)، إلى معركة شرسة ستكون للعائلات، ومن خلفها الأحزاب، الكلمة الفصل فيها. إذ تتنافس لائحتان، تضم الأولى تحالف المختار زاهر الكسار ورئيس البلدية الحالي محمود جوهر وآل الرفاعي، فيما تضم الثانية تحالف الجماعة الإسلامية برئاسة غسان السبسبي والمحامي خالد المصري وآل السبسبي. ولا يمكن إغفال الدور السياسي في تحالف العائلات وتموضعها، خصوصاً أن بلدة ببنين من معاقل الجماعة الإسلامية، إضافةً إلى وجود حيثيات سياسية فيها لكل من النائبين السابقين خالد الضاهر ومصطفى هاشم، والمفتي السابق أسامة الرفاعي، علماً أن الخشية من النتائج المبهمة أجبر السياسيين على التموضع خلف العائلات.

الانقسامات نفسها تنسحب على بلدة برقايل التي يلعب فيها النائب السابق طلال المرعبي دوراً مهماً. وتتنافس في البلدة التي يبلغ عدد ناخبيها عشرة آلاف لائحتان: الأولى مناصفة بين المحامي وسام خالد والدكتور زاهر عبيد، والثانية برئاسة المحامي عبد الرحمن الحسن والمحامي عماد صباح.

كذلك تتحضّر بلدات قبعيت وبزال وجديدة القيطع وحرار وشمّان والحويش وعين الذهب لخوض معارك عائلية بامتياز.

الشفت: معركة في حلبا والعين على الجديدة

في منطقة الشفت، يعد التيار الوطني الحر الناخب الأول في البلدات المسيحية، حيث تسود تفاهمات وتحالفات غلب عليها حضور العائلات، وعجزت الأحزاب عن أداء دور وازن فيها. وأنتج ذلك لوائح من نسيج سياسي عائلي يصعب توصيفه، كما هي الحال في بلدات: كرم عصفور وبيت غطّاس والزوارب ومشحا وحيزوق والشيخ محمد والنفيسة وعدبل.

وتتكثف الاستعدادات في حلبا، مركز المحافظة، لمعركة عائلية شرسة بين القطبين الأساسيين في عائلة الحلبي، سعيد الحلبي وعبد الحميد الحلبي، علماً أن التعصب العائلي يتحكم بكل مفاصل المدينة التي يتكون مجلسها البلدي من 18 عضواً. وقد ينجح حلبا، خصوصية معينة، فهي تضم 3 آلاف صوت مسيحي قادرة على ترجيح الكفة.

وتنحصر المنافسة بين ثلاث لوائح: «بالتضامن حلبا أجمل» برئاسة رئيس البلدية السابق سعيد شريف الحلبي، و«وحدة حلبا» برئاسة ابن شقيقه عبد الحميد أحمد الحلبي، و«حلبا المدينة» غير المكتملة برئاسة سليمان خالد الحلبي. ويحتدم الصراع على «النَوَر» المُجنّسين كونهم يُشكّلون بيضة القبان، إضافة إلى وجود حيثية مهمة للدكتور سعود اليوسف الذي لم يقرر أي طرف سيدعم.

في مقابل ذلك، تتحضر البلدات المسيحية، وتحديداً الجديدة، لمعارك قاسية، عنوانها خصوصيات العائلات التي لا تهتم بالانتماء الحزبي أو السياسي، جراء غلبة العصب العائلي والمحلي الذي يفرض نفسه على التوازنات.

وتخوض بلدة الجديدة المعركة الانتخابية بين لائحتين، الأولى برئاسة الرئيس الحالي ايمن عبدالله والثانية برئاسة وليد عوض، وسط انقسام بين الأحزاب الأكثر حضوراً، وتحديداً التيار الوطني الحر و«القوات اللبنانية». وفي عدبل، ترتفع نسبة الحماوة الانتخابية التي تشهد طفرة ترشيحات في البلدة المعروفة بوحدة توجهها السياسي. إذ إن جميع المرشحين للرئاسة من محازبي الحزب السوري القومي الاجتماعي. وتنحصر المواجهة بين لائحتين، الأولى للرئيس الحالي جابر دبب والثانية للمختار السابق أديب النبوت.

> يخوض البعريني المعركة الانتخابية في مسقطه في مواجهة لائحة مدعومة من منسق تيار المستقبل

اتحاد الدريب الأوسط

وتستعد بلدة البيرة لمعركة انتخابية مختلفة شكلاً ومضموناً عن المعارك السابقة، مع توحد عائلة المرعبي، التي تشكل 50% من مكونات البلدة، بعكس السنوات الماضية. وتنحصر المنافسة بين لائحتين، الأولى لائحة العائلات برئاسة ابن رئيس البلدية الحالي أحمد وهبي وبدعم ومشاركة رئيس اتحاد بلديات الدريب الأوسط السابق عبود مرعب، والثانية يدعمها المراغية.

ويُتوقع أن تشهد غالبية بلدات الدريب الأوسط، وتحديداً الكواشرة وكوشا وعمار البيكات وخربة شار والمجدل والسنديانة (ذات الغالبية السنية) معارك عائلية داخل التيار الواحد.

القبيات وعندقت تخطفان الأنظار

تخطف القبيات، كبرى البلديات المسيحية في عكار (12 ألف ناخب)، معظم أضواء الاستحقاق الانتخابي ضمن اتحاد بلديات عكار الشمالي، مع بروز تحالفات جديدة غير قابلة للمقارنة بمعارك انتخابية سابقة. إذ اجتمع التيار الوطني الحر الذي ترك حرية القرار للنائب جيمي جبور، مع «القوات اللبنانية» وحزب الكتائب، في لائحة توافقية واحدة تضم أيضاً النائب السابق هادي حبيش وحيثية آل عبدو، تحت شعار «تحالف القبيات».

ولم تنجح محاولات إقناع اللائحة المنافسة غير المكتملة بالانسحاب، إذ إن المرشحين من خارج الوفاق يُعبرون عن امتعاضهم من طريقة فرض التحالف، ويُصرّون على تسجيل موقف.

الواقع يبدو أكثر سخونة في بلدة عندقت، مع ظهور انقسامات جديدة تتجاوز العائلات التقليدية. وعليه، تستعد ثاني أكبر بلدة مارونية في عكار لخوض معركة بين لائحة «كرمال عندقت» التي يرأسها طاني حنا، ولائحة «عندقت هوية» التي يرأسها كامل الدرزي.

وفي منطقة الجومة، تتحضر رحبة (كبرى البلدات الأرثوذكسية) لمعركة يسعى عبرها رئيس البلدية رئيس الاتحاد السابق فادي بربر إلى العودة عبر ترشحه ضمن لائحة «رحبة الوفية» المدعومة من التيار الوطني الحر والقوميين، مقابل لائحة «رحبة بالقلب» المدعومة من تحالف حزبَي الشيوعي و«القوات اللبنانية»، مع حيثية عبدالله حنا، في حين أعلن الدكتور وسام منصور وقوفه على الحياد.

وتنسحب الانقسامات المسيحية على بلدات: بزبينا وبينو وأيلات وممنع وبيت ملات. وتستسلم البلدات السنية للانقسامات العائلية الحادة. ولن تكون تكريت ووعيات وعكار العتيقة والبرج بمنأى عن معركة حامية الوطيس جراء خلط الأوراق بين عائلات وقوى البلدة، ما يرفع من حدة الانقسام العائلي.

وفي قرى وبلدات سهل عكار، يبدو التعصب العائلي على أشده حيث تتطلّل كل البلدات بالعائلية أولاً، في المقابل يرفض المرشحون التحدث عن لوائح حزبية، خصوصاً في البلدات العلوية، الحيصة وتلبيرة وضهر القمير.

أما بلدة تلعباس الغربي، التي تضم 3 آلاف ناخب، فتستعد لمواجهة عونية - قواتية بين ثلاث لوائح: «ضيعتنا بالقلب» التي يترأسها رئيس البلدية الحالي وليد متري، ولائحة «القوات اللبنانية»، أما بلديات نهر الأسطوان، والبلدات الحدودية في منطقة جبل أكروم، فستشهد معارك انتخابية داخل البيت الواحد، في ظل غياب تام لتيار المستقبل.

الانتخابات البلدية في طرابلس

كوكتيل مرشّحين بلا مشاريع ولا مبالاة الناخبين

الميناء
معركة طاحنة على الزعامة المسيحيّة

تنسحب التحالفات الانتخابية في مدينة طرابلس على «جارتها»، بلدة الميناء، حيث يدعم النائب إيهاب مطر لائحة «الميناء أولاً» برئاسة فادي السيد، في مواجهة النواب فيصل كرامي وأشرف ريفي وكريم كبارة وطه ناجي، الذين يدعمون لائحة «الميناء أحلى» برئاسة عبدالله كبّارة. وتتنافس معهما لائحة «روح الميناء» برئاسة عامر حدّاد، مع الإشارة إلى أنها غير مكتملة بعد انسحاب عدد أعضائها، وغير مدعومة من أي طرف سياسي.

ورغم أن المجلس البلدي مكوّن من غالبيّة مسلمة (نحو 15 عضواً من أصل 21)، إلّا أن معركة طاحنة تجري بين الشخصيات المسيحية، على النفوذ والزعامة المحلية، بعيداً من الأحزاب السياسية. وستُشكّل نتائجها مؤشراً إلى أحجام كل منها، ولا سيما المحسوبين على التيار الوطني الحر والمستقلّين، تمهيداً للسباق النيابي المقبل على المقعدين الماروني والأرثوذكسي.

وفيما تغيب «القوات اللبنانية» عن المواقف العلنية، يشير البعض إلى إمكانيّة أن يدعم مسؤولوها بشير دمج، المرشّح على لائحة السيّد، المدعومة من رجل الأعمال روبير أيوب، المقرّب من «القوات»، علماً أن رموز تيارَي «الوطني الحر» و«المردة»، ليسوا بعيدين عن اللائحة أيضاً.

وعلى عكس طرابلس، يبرز المال الانتخابي في أزقّة الميناء، على اعتبار أن الكباش المحموم يجري بين مجموعة من رجال الأعمال الذين يدعم كلّ واحد منهم لائحة، وأبرزهم أيوب وسمير الرّطل، والمرشح السابق للتيار الوطني الحر إلى الانتخابات النيابية، ألفرد دورة. ويقف في وجههم رجل الأعمال إيلي واكيم (صهر النائب السابق إسطفان الدويهي)، الداعم الأول للائحة كبارة. وخلافاً لـ«الفيحاء»، أيضاً، أدّى صراع الرؤوس المسيحية الحامية إلى فتح «حنفيّة» الأموال على مصراعيها. ويتناقل أهالي الميناء روايات عن دفع مبالغ خيالية مقابل التأييد. ويروي أحدهم حصول أحد أصحاب الدكاكين على مبلغ مالي مقابل عدم رفع صور انتخابيّة، فيما قام أحد العرّابين بتركيب ألواح الطاقة الشمسية لتوزيع الكهرباء مجاناً على الأحياء المسيحية. ووصل الأمر إلى حدّ دفع أموال مقابل انسحاب أعضاء من لائحة، وانضمامهم إلى أُخرى!

> تتركّز المنافسة بين 3 لوائح أساسية من أصل 6 وترشيحات محدودة جداً لمسيحيي المدينة

لينا فخر الدين

تحوّلت الانتخابات البلدية في مدينة طرابلس إلى حفلة تعطّش للسلطة، يبدو الجميع مشاركاً فيها، مع بلوغ عدد المرشحين لملء 24 مقعداً بلدياً، 218 مرشحاً، في سابقة غير معهودة في عاصمة الشمال. وفيما يخوض بعضهم الانتخابات منفردين، أسفرت الترشيحات عن ست لوائح (بعضها غير مكتمل).

ورغم هذا الازدحام، لاحظ مراقبون إضافةً إلى عدم الوضوح في الملف الإنمائي، غياب العناوين السياسية عن المعركة الانتخابية، الأمر الذي يؤشر إلى عدم انسحاب تحالفات الانتخابات البلدية، على الانتخابات النيابية المقبلة. ويُشار، في هذا الإطار، إلى أن أسباب الخلافات السياسية التقليدية بين القوى والشخصيات السياسية في المدينة، قد انتفت بعد تطورات الأشهر الماضية في لبنان والمنطقة. وقد بات الجميع في «الحضن السعودي»، ليختصر تحالف النواب: أشرف ريفي وفيصل كرامي وطه ناجي (جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية) وكريم كبارة، التغيّرات السياسية في الشارع الطرابلسي.

> وفي المقابل، لا يظهر على اللوائح المضادة، وبينها لائحة يدعمها النائب إيهاب مطر، أي «بصمات سعودية»، ما يُدلّل على عدم تدخل المملكة في المعركة الطرابلسية. وما يزيد الطين بلّة: ضعف الانسجام بين المرشحين على اللائحة الواحدة، ولا سيما في الخيارات السياسية والرؤى الإنمائية.

«موزاييك» مجلس بلدي

كثرة اللوائح والمرشحين، عدا التركيبة الهجينة، ستؤدي حتماً إلى ضعف إقبال الناخبين (من المتوقع ألّا يقترع أكثر من 25% من الناخبين، أي نحو 60 ألف مقترع). ويبدو ذلك واضحاً من الآن، في برودة تعامل الناخبين مع المرشحين، وغياب المكاتب والمهرجانات الانتخابية، واقتصار الحملات الانتخابية على مواقع التواصل الاجتماعي.

كما ستنتج كثرة اللوائح، نقصاً في تمثيل جميع المكوّنات الطرابلسيّة، وتحديداً المسيحيين والعلويين، في ظلّ غيابهم عن الترشيحات (تسعة مسيحيين فقط انسحب منهم خمسة). ومن المتوقّع أن تنخفض مشاركتهم في عملية الاقتراع، إلى ما دون النسب المعتادة. كما ستكون هناك مظاهر تدل على الإرباك، مثل عمليّات التشطيب الواسعة، ولا سيما مع اختلاط الطابع السياسي بالعائلي في المدينة، ما سيُنتج «موزاييك» داخل المجلس البلدي، من دون تفاهم أو انسجام في ما بينهم. وقد يُهدّد ذلك بإطاحة المجلس الذي ستفرزه صناديق الاقتراع.

في العلن، شُكّلت اللوائح في إطار سياسي أو إيديولوجي. لكن، عملياً، يتداخل الطابع السياسي بالعائلي والديني والخدماتي، حتّى بات يُحكى عن «شوربة» لوائح بأهواء مختلفة.

لوائح السياسيين والعائلات

يُمكن القول إن غالبية اللوائح سيأكل بعضُها من صحن بعض، على أن تتركّز المنافسة بين ثلاث لوائح أساسيّة، هي:

- لائحة «رؤية طرابلس»، برئاسة عبد الحميد كريمة، ويدعمها النواب الأربعة. (كرامي، ريفي، ناجي وكبارة).
- لائحة «نسيج طرابلس»، برئاسة وائل إزمرلي، ويدعمها النائب مطر و«حركة عمران» المحسوبة على الجو الإسلامي.
- لائحة «حراس المدينة» برئاسة خالد تدمري، ويدعمها (من تحت الطاولة) الجماعة الإسلامية و«هيئة الإسعاف الشعبي» وبعض المجموعات الإسلامية القريبة من تركيا. وتُعد هذه اللوائح الأبرز داخل الشارع الطرابلسي، وتمتلك ماكينات انتخابية، تُمكّنها من تحريك بلوكات انتخابية، مع العلم أن «نسيج طرابلس» و«حراس المدينة» تتشاركان الجمهور نفسه، ما سيُعزّز التشطيب بينهما.

ويُتوقع أن تصبّ العائلات الطرابلسية، كما بعض الحركات الإسلامية وجمعيات المجتمع المدني والمستقلين في صالح اللوائح الأخرى، وهي:

- لائحة «الفيحاء»، برئاسة سامر دبليز، وهي غير مكتملة (15 عضواً من أصل 24)، وتدعمها جمعيات المجتمع المدني.
- لائحة «طرابلس عاصمة» برئاسة أحمد ذوق، وما يفرقها عن بقية اللوائح، هو الحركة اللافتة التي تقوم بها، حماة رئيس حزب الكتائب سامي الجميل، جماعة تدمر الشمال، علماً أن لا صلة بين الحزب واللائحة.
- لائحة «سوا إنقاذ طرابلس»، برئاسة محمد مجذوب.

المعارك النيابية تُظلّل انتخابات بلديات الضنية

تطغى المعارك العائلية على الانتخابات البلدية في قضاء الضنية. ففي الأصل، تخشى الأحزاب السياسية خوض المعارك جهاراً في ريف الشمال، حيث الخلافات ضمن العائلة الواحدة أو الصراع التقليدي بين عائلتين، تتقدّم على السياسة.

ومع ذلك، فإن لبعض القرى والبلدات رمزيتها السياسية، وأبرزها بخعون، مسقط رأس نائبَي القضاء: جهاد وعبد العزيز الصّمد، اللذين يدعم كلّ واحد منهما لائحة. وتبدو معركة الأحد بالنسبة إلى النائب جهاد عبد الصمد مختلفة، عن المعارك السياسية التي لم يخسرها منذ عام 1998، عندما واجه تحالفاً بين النائب عبد العزيز الصمد والنائب السابق قاسم عبد العزيز وفق ما يقول عدد من أهالي البلدة. ويستّحد نتائج الانتخابات حجم النفوذ السياسي لكلّ منهم، تمهيداً لمعركتهم النيابية.

كذلك، يخوض النائب السابق أحمد فتفت في سير الضنية، معركةً لاسترداد البلدية التي خسرها في الدورتين الماضيتين، في وجه منافسه أحمد علم الدين، في عزّ نفوذ تيار المستقبل، على أن يستتبعها أيضاً بمعركة لاسترجاع مقعده النيابي.

ويدعم فتفت، ونجله سامي، النائب السابق أيضاً، لائحة «نبض سير» برئاسة سامر دياب هوشر، فيما تدعم العائلات لائحة «سير أوّلاً» برئاسة مصطفى درباس، بينما يتردّد عن تلقّي اللائحة دعماً غير مباشر من الرئيس الحالي أحمد علم. وكانت المفاوضات بين الطرفين قد استمرّت أشهراً، من دون أن تنجح في التوافق على لائحة مُوحّدة.

كما يتنافس على رئاسة بلدية السفيرة، المرشح براء هرموش، نجل القيادي السابق في الجماعة الإسلامية، أسعد هرموش، وقريبه بلال درويش، الذي سبق أن ترشّح على لائحة النائب أشرف ريفي وتحالف مع «القوات اللبنانية».

أمّا كفرحبو، التي تُعدُّ البلدة الأكبر مسيحياً في الضنية، فتخوض العائلات ومن خلفها الأحزاب المسيحية، معركة طاحنة يطغى عليها الطابع العائلي، في ظلّ تنافس تاريخي بين آل صوّان وآل بيطار. وتشبه كفرحبو المعركة العائليّة الدائرة في حقل العزيمة، التي فازت ببلديتها في عام 2016 «القوات اللبنانية».

وانتماءات مختلفة، فيما تغيب الماكينات الانتخابية الفاعلة القادرة على «التحشيد»، كما لا تظهر الأموال الانتخابية بشكل جدّي، إذ إن غالبية النواب والشخصيات السياسية ترغب بالمشاركة عبر الدعم المعنوي، من دون أن تتكلّف مادياً، أو حتى تتحمّل أعباء تشغيل ماكيناتها الانتخابية، فيما وجد البعض في الانتخابات البلدية فرصة لاختبار ماكيناتهم و«تزييتها» استعداداً للانتخابات النيابية.

ويجري الحديث في المدينة عن ماكينات إعلامية تتشابه في عمليات التصوير والمونتاج ونشر الأخبار المُزيّفة، مع ماكينات بعض التنظيمات المُسلّحة السورية. ويربط البعض ذلك بماكينات للوائح تُحسب على «الإخوان المسلمين» وجماعات سلفية مقرّبة من تركيا. ويلفت متابعون إلى أن هذه الماكينات تعمد إلى «الرشق» على أعضاء من الوجه الإسلامي، فيما يؤكّد آخرون عدم وجود ماكينات فعليّة، باستثناء ماكينة «المشاريع»، وماكينة مطر، الذي يُريد للمعركة البلدية مدخلاً للانتخابات النيابية.

في المقابل، يُعلن الرئيس نجيب ميقاتي أنه على الحياد؛ فلا يتدخّل في تشكيل اللوائح، ولا يُعلن دعم أيّ منها. وإن كان البعض يتحدّث عن مرشحين على مختلف اللوائح محسوبين عليه، وكما يغيب ميقاتي، كذلك يغيب الأمنيون، على اعتبار أن الانتخابات البلدية كانت تُخاض تقليدياً بدعم من بعض الشخصيات الأمنية، التي تبدو بعيدة عن المشهد حالياً. وهو ما تبدّى في حملات قمع المخالفات، التي بدأت قبل أسابيع قليلة.

كباش الخير - علم الدين يطغى على بلديات المنية

تكتّلت العديد من الشخصيات السياسية في قضاء المنية، على رأسها النائب عثمان علم الدين ورئيس «المركز الوطني في الشمال» كمال الخير، في وجه النائب أحمد الخير، ليطيح هذا الكباش عناوين المعارك البلدية في العديد من بلدات القضاء، ولا سيما مدينة المنية، حيث يدعم كلّ طرف لائحة، بينما يقف النائب السابق كاظم الخير على الحياد.

وتهدف هذه المعركة إلى تثبيت مرجعيّة كلّ طرف في القضاء، تمهيداً لخوض الانتخابات النيابيّة المقبلة، فيما يغيب تيار المستقبل عن المعركة الواقعة بين «أبنائه».

في المقابل، تطغى المعارك العائلية المحمومة على البداوي وبحنين ودير عمار وبرج اليهودية.

قضية

غياب المكننة أبرز وجوه التخلّف ويتفوّق على انقطاع مياه مراحيض قصر العدل

ليس أمام القاضي إلا أن «يشنق حالو»!

آلاف الموقوفين في النظارات والسجون ينتظرون البت في ملفاتهم، والمثول تحت القوس ليقول لهم القاضي ما إذا كانوا مذنبين أم أبرياء، وليغيّر حياتهم وحياة ذويهم بضربة مطرقة. لكن، يبدو أن مقولة «قاضي الاولاد شنق حالو»، تنطبق على الوضع الحالي في قصور العدل، حيث باتَ مبدأ المحاكمة العادلة لعبة تخضع لشروط ظرفية وسياسية واقتصادية وطائفية ومذهبية ومناطقية. هواتف القضاة لا تهدأ وتزدحم مداخل مكاتبهم بالزوار. وبينما ينشغل القاضي الشعبوي بالعلاقات العامة ويتغنى بعضويته في صالونات السياسة والمجتمع والاقتصاد والسيجار، يفكّر القاضي النزيه بشنق نفسه الف مرة في اليوم. اما التفتيش القضائي فيحتار من اين يبدأ، وقد يضيع في غياهب مستودعات الملفات المكدسة، وممرات قصر عدل اشبه بمصلحة تسجيل الآليات، حيث يشتد الاكتظاظ وتنتشر الفوضى. لا تكفي استقلالية القضاء لإصلاحه، بل ما يحتاج إليه القضاء بشكل عاجل وطارئ هو المكننة وتخصيص الاموال لتامين قاعات واقلام ومكاتب للقضاة، وتامين المياه لحمام «مقطوعة ميّتو» في «قصر» العدل

عمر نشابة

تُهمل الدولة اللبنانية من يكلّف بالفصل في قضايا تتعلّق بحقوق الناس وبأمنهم وسلامتهم، وتُعاملهم مثلما تُعامل عدداً من الموظفين في الإدارات الرسمية. فبينما يُفترض أن يشكل القضاة سلطة أساسية من السلطات الثلاث التي تحكم الجمهورية اللبنانية، يُعد القاضي في لبنان موظفاً يخضع تارة لتوجيهات وزارة العدل، وطوراً لمصالح الجهات الطائفية أو المذهبية أو المناطقية أو السياسية التي يُحسب من حصتها. بعض القضاة التحقوا بالسلك القضائي لأنهم أرادوا فعلاً تولي مسؤولية إنصاف الناس استناداً إلى نص القانون، وسعوا إلى تطوير أدائهم ومعرفتهم القانونية والفقهية، وعملوا على تهذيب سلوكهم الاجتماعي ليتناسب مع مكانتهم. لكن مع تراكم الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، اصطدم هؤلاء بواقع محبط وخابت آمالهم بقدرة القضاء على تحقيق العدالة. وباتت تسمية قصر العدل، أي المبنى الذي يضم قاعات المحكمة والأقلام ومكاتب القضاة، تعبّر بدقة عن حالته المزرية فقط إذا كانت بصيغة الجمع: «قصور» العدل. قصور لا

> **لا ترد عبارة «استقلال السلطة القضائية» في الدستور اللبناني بل ورد فيه أن «القضاة مستقلون»**

تعود أسبابه الحقيقية إلى غياب استقلالية القضاء فقط، بل إلى إهمال السلطة السياسية الحاكمة، عن سابق تصوّر وتصميم، لمبدأ تفوّق قوّة الحق على الحق بالقوّة. وقد تعددت أوجه ذلك الإهمال عملياً، إذ إن السلطتين الإجرائية والتشريعية تحددان موازنة المؤسسات القضائية واستقلالية القضاء بحسب الدستور. صحيح أن الدستور يذكر أن «السلطة القضائية تتولاّها المحاكم على اختلاف درجاتها واختصاصاتها»، لكنه يضيف إلى ذلك «ضمن نظام ينصّ عليه القانون». وبالتالي على سلطة (التشريعية) أن تحدد استقلالية سلطة أخرى (القضائية). ومن السذاجة التسليم بأن السلطات السياسية يمكن أن تتنازل عن نفوذها وسطوتها على سلطة أخرى، وبأن مجلس الوزراء أو النواب أو رئاسة الحكومة أو حتى رئاسة الجمهورية يمكن أن تقبل بتفوق سلطة قاضٍ على سلطاتها. ومن السذاجة كذلك التسليم بأن رئيسي الجمهورية والحكومة يمكن أن يعترفا بذلك، بل سيعلنان طبعاً أنهما يصران على استقلالية القضاء.

مع تولي العماد جوزيف عون رئاسة الجمهورية ورفعه في خطاب القسم شعار «إذا أردنا أن نبني وطناً علينا أن نكون جميعاً تحت سقف القانون وتحت سقف القضاء»، تنبغي الإشارة إلى أن تعهّده بإقرار قانون جديد لاستقلالية القضاء لا يمكن أن يحقق وحده إصلاح القضاء الذي علينا أن نكون جميعاً تحت سقفه. بل يفترض احترام ما ورد في الفقرة «هـ» في مقدمة الدستور التي جاء فيها أن «النظام قائم على مبدأ الفصل بين السلطات وتوازنها وتعاونها». ولا يخفى على أحد اليوم أن التوازن مفقود بين السلطة القضائية والسلطتين الإجرائية والتشريعية. فالسلطة القضائية لا تبدو سلطة فعلية، لا في تشكيلات القضاة التي تستدعي موافقة وزير العدل قبل إحالتها على مجلس الوزراء، ولا في تحديد ميزانية المحاكم وحاجاتها المادية (علماً أن المحاكم في لبنان تأتي في المرتبة الثانية، بعد وزارة الاتصالات، في قائمة المؤسسات التي تؤمن الدخل المالي لخزينة الدولة)، ولا في إلزامية تنفيذ القرارات والأحكام والمذكرات التي تصدر عنها. لم يخصص الدستور فصلاً للسلطة القضائية في الباب الثاني الذي يحدد السلطات كما خصص الفصل الثاني لـ«السلطة المشترعة» والفصل الرابع لـ«السلطة الإجرائية». ولا ترد عبارة «استقلال السلطة القضائية» في الدستور اللبناني بل ورد فيه أن «القضاة مستقلون» (المادة 20). وبالتالي قد تستدعي ضمانة استقلالية القضاء تعديلاً دستورياً. وبما أن الدستور اللبناني مستوحى أساساً من الدستور الفرنسي، لا بد من الإشارة إلى ما جاء في نص المادة 64 من الدستور الفرنسي: «يتعين على رئيس الجمهورية أن يكون الضامن لاستقلال السلطة القضائية. يساعده في ذلك المجلس الأعلى للقضاء». أما القانون فيقتصر على تحديد «النظام الأساسي للقضاة»، بحسب المادة نفسها.

قضاة في دولة غارقة بالأزمات

جاء في البيان الوزاري الذي تلاه رئيس الحكومة القاضي السابق في محكمة العدل الدولية نواف سلام: «يترتب على نظام العدالة أن يحظى بثقة اللبنانيين واللبنانيات الكاملة، وثقة العالم أيضاً. وهو ما يقتضي ترسيخ استقلال القضاء العدلي والإداري والمالي وتحسين أوضاعه وإصلاحه وفقاً لأعلى المعايير الدولية، بما يضمن مناعته حيال التدخلات والضغوط وقيامه بدوره بضمان الحقوق وصون الحريات العامة ومكافحة الجرائم. وفي هذا الصدد، لا بد من الإسراع في إجراء التعيينات والمناقلات والتشكيلات القضائية والحؤول دون منع عمل المُحققين أو تأخيره ».

لكن ربما لم ينتبه مجلس الوزراء، أو أنه قصد إهمال، معنى «تحسين أوضاعه وإصلاحه»، أو أنه تحجّج بأن البيان لم يحدد ضرورة الإسراع في تأمين الأموال المطلوبة للالتزام بما ورد فيه. علماً أن وزير العدل محام وأستاذ في القانون وصاحب خبرة واسعة ومعرفة عميقة بما تعاني منه المحاكم والوضع المزري والمعيب لقصور العدل في كل المحافظات. فعلى بُعد أمتار قليلة من مكتبه، «قصر» للعدل ليست فيه مكاتب كافية للقضاة ما يضطرهم إلى تقاسم المكاتب وتناوب الأيام التي يحضرون خلالها إلى المكاتب. أما المكاتب المتوافرة، فتعاني من مشكلات، ويسدد بعض القضاة من مالهم الخاص كلفة تحسين أوضاعها. والأسوأ من ذلك أن المياه مقطوعة عن المراحيض في مرفق العدالة. أما المصاعد، فلم تتأمن الأموال اللازمة لصيانتها من المديرية العامة لوزارة العدل، ما استدعى الاستعانة بصندوق تعاضد القضاة. إهمال القضاة لا يقتصر على ذلك، بل يتعلق أيضاً بتدني رواتبهم بحيث لا تكفي لتسديد بعض حاجاتهم وحاجات أسرهم الأساسية.

ربما ما قصدته الحكومة في بيانها الوزاري بـ«تحسين أوضاعه وإصلاحه» يتعلق بتأمين حاجات القضاة الضرورية الملحّة التي لا يمكن تأجيلها لأنها مرتبطة بتسريع المحاكمات والإجراءات القضائية بهدف تقليص الاكتظاظ الخانق في النظارات والسجون، وبداعي الالتزام بمبدأ المحاكمة العادلة الملزم بموجب الدستور، وبموجب تعهدات لبنان القانونية الدولية.

لكن، حتى اليوم، لم تؤمّن قاعات محاكمة وأقلام كافية للعمل بشكل متواصل على البت بالقضايا وإصدار الأحكام. ولم يبدأ العمل الجدي على توفير حاجة القضاة للوصول السريع إلى المعلومات المتعلقة بالأشخاص الذين يدلون بشهاداتهم أمامهم أو الإجراءات وتفاصيل القضايا المطروحة أمامهم. فلا يمكن للقاضي أن يدخل عبر الحاسوب إلى الملفات، ولا يمكنه حتى الاطلاع الفوري على السجل العدلي لأي شخص، بل عليه طلب ذلك خطياً من قوى الأمن الداخلي وانتظار الجواب عبر البريد. غياب المكننة عن قصور العدل هو أحد أبرز وجوه التخلّف (وقد يتفوّق على انقطاع المياه في مراحيض قصر العدل). فالمكننة هي السبيل إلى تنظيم الملفات القضائية وتسهيل الاتصال والاطلاع والمراجعة والتدقيق. وربط مكاتب القضاة بشبكة إلكترونية يسمح بالتواصل السريع وبتوسيع البحث في القوانين والأحكام السابقة.

وبما أن «السلطة القضائية» لا تؤمن لكل قاضٍ في مكتبه مجموعة القوانين (وهي لا تؤمن له لو لها حتى «الروب» الذي يفترض ارتداؤه تحت القوس) يمكن إطلاعه عليها ومراجعتها عبر الكمبيوتر.

أما قاعات المحاكمة فليست مجهزة تقنياً ولا توجد فيها حواسيب للاطلاع على الملفات إلكترونياً ولا شاشة لعرض بعض الوقائع المسجلة.

(هيثم الموسوي)

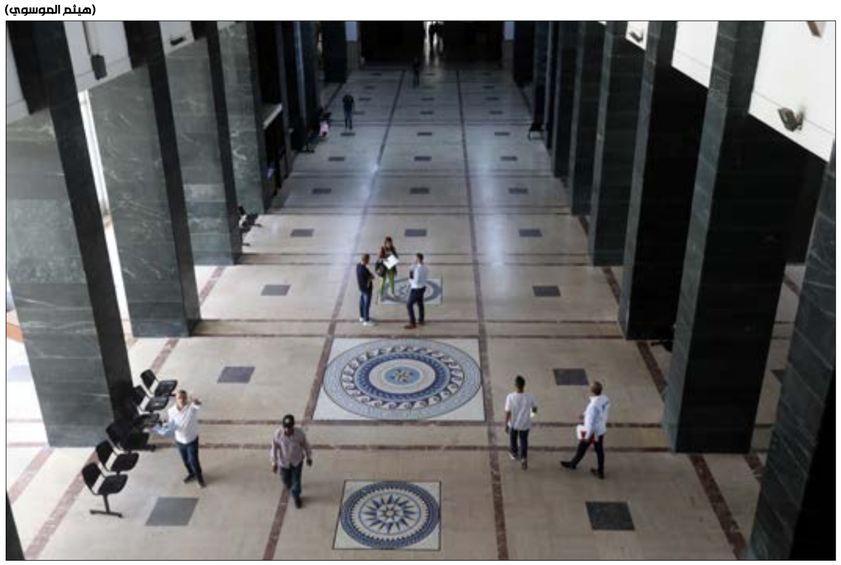

هي مجرد قاعة فيها قوس المحكمة وبعض المقاعد وتحتاج إلى صيانة وترتيب لأنها لا تليق بمكان تتلى فيه خلاصات الأحكام التي تحدد مسار حياة الناس ومصير الأملاك والحريات والصلاحيات والحقوق وتصدر باسم الشعب اللبناني.

بعض القضاة يستخدمون حواسيبهم الخاصة ويسددون كلفة الإنترنت والطبع، علماً أن ذلك قد يشكل خطراً بحيث يمكن أن يدخل أشخاص وشبكات جرمية لديها معرفة تقنية على ملفات القاضي والاطلاع عليها أو محاولة تزويرها وتشويهها. وبالتالي على وزارة العدل تأمين برنامج حماية سرية المعلومات للقضاة لحين انطلاق ورشة مكننة قصور العدل والملفات القضائية بشكل كامل.

فوضى التشكيلات القضائية

كثر الحديث عن التشكيلات القضائية وعن صلاحيات وزير العدل ومرجعية مجلس القضاء الأعلى ودور مجلس الوزراء في المرحلة السابقة. وتبادلت القوى السياسية والطائفية الاتهامات بشأن المحاصصات في تحديد القضاة والمراكز القضائية. وقبل إن ترك قرار تشكيل القضاة لمجلس القضاء وحده هو الحل، بينما رفض وزراء العدل المتعاقبون أن يكونوا مجرد ساعي بريد ينقل ملف التشكيلات من مجلس القضاء إلى مجلس الوزراء من دون أن يكون لهم موقف منها.

لكن المشكلة الأساسية لا تتعلق بكل هذه الخلافات والإجراءات التي تبدو شكلية وسطحية. فالأساس هو تقييم القاضي وليس التعريف عنه أو التعرّف إليه عبر اسمه وظائفته ومذهبه وتوجهه السياسي وانتمائه وحتى سمعته في المجتمع، بل التدقيق في الأحكام الصادرة عنه والقرارات التي اتخذها في معرض عمله كقاضٍ.

فلا تفضيل بين الطوائف المذاهب والأحزاب والمناطق في الإخلاص للعدالة والالتزام بالنزاهة. وقد يكون الحل في اتّباع ما قاله ابن الوردي: «لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حَصَل، قيمة الإنسان ما يُحسِنُهُ أكثرُ الإنسانُ منهُ أمْ أقَلّ». ولكن المشكلة تكمن في معرفة «ما قد حصل». إذ لا توجد ملفات وسير ذاتية للقضاة في قصور العدل ولا يمكن جمع نصوص الأحكام الصادرة عن أكثر من 500 قاضٍ في لبنان. فكيف يمكن وضع تشكيلات قضائية دقيقة وعادلة؟

تبرز هنا أيضاً الحاجة الماسة إلى مكننة كامل قطاع العدالة ويستدعي ذلك أولاً التصميم واتخاذ القرار بذلك كما يستدعي تخصيص الأموال اللازمة.

لكن بكل أسف فقد تبين أن العائق الأساسي أمام إصلاح القضاء بشكل جدي عبر مكننة قصور العدل هي السلطة السياسية الحاكمة في لبنان. لماذا؟ لأن القضاء هو أحد القطاعات الحيوية للزبائنية والمحسوبيات. والحل ليس في إقرار قانون استقلالية القضاء (الذي يتيح بصيغته الحالية تعيين نصف القضاة عن طريق المحاصصة)، بل بورشة إصلاح شاملة تبدأ بالمكننة وتأمين المحاكم والمكاتب للقضاة وتنقل قصور العدل من الظلام الحالي في قاعة الخطى الضائعة إلى نور المحاكمات العادلة تحت القوس.

العالم | على الغلاف

ترامب - نتنياهو: أكبر من خلاف وأقلّ من طلاق

كله مؤشر إلى تراجع الدعم الأميركي غير المشروط لإسرائيل، يقرأ في غزة ضعفاً استراتيجياً (أ ف ب)

يحيى دبوق

هل يمكن فهم التوتّرات الحالية بين إسرائيل والولايات المتحدة، باعتبارها أكثر من مجرّد خلاف شخصي بين رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، والرئيس الأميركي دونالد ترامب؟ وهل يُعدّ ما نشهده اليوم، بداية تحوّل استراتيجي عميق في العلاقة بين الجانبين، وليس مجرّد ردّ فعل عابر على قرارات سياسية آنية؟ يبدو جليّاً أن التطورات الحاصلة ليست مجرّد تباين مؤقت أو اختلاف في الرؤى حول ملفّ واحد أو اثنين، بل نتيجة مسار طويل من التحوّلات والحسابات الاستراتيجية التي تغيّرت تباعاً لدى الجانب الأميركي أولاً، وكانت تجري بعيداً من الأضواء وفي الغرف المغلقة، لتعود وتطفو على سطح العلاقات الثنائية، عبر تبنّي الإدارة الأميركية خطوات مستقلّة وغير متوقّعة بالنسبة إلى تل أبيب، تمسّ مباشرة بمصالحها، ومن دون تنسيق مسبق معها.

وفي مقابل التحوّلات الأميركية، لا تزال إسرائيل أسيرة مقاربة ومحدّدات عفا عليها الزمن، في علاقاتها مع الراعي الأكبر. ولعلّ ممّا فاقم السلبيات، أن الدولة العبرية، بتركيبتها الحالية وطاولة قراراتها، عاجزة عن التكيّف مع المتغيّرات الأميركية الجديدة، وهي تأمل في إبقاء الأمور على ما كانت عليه في ما مضى. ويظهر أيضاً أن نتنياهو فقد القدرة على التأثير المباشر في القرارات الكبرى التي تتّخذها الإدارة الأميركية، وأن العلاقة الشخصية التي كانت تجمعه إلى ترامب، لم تعُد كافية لضمان التفاهم الاستراتيجي، أو حتى التنسيق العملي بينهما. ومع ذلك، يبدو الحديث عن «انفصال استراتيجي كامل»، أو «طلاق سياسي بين الطرفين»، مبالغاً فيه.

ولكن، إلى أيّ مدى يمكن أن تمتدّ التوتّرات والقطيعة، التي جرى الإعلان عنها مواربة، وعن طريق تسريبات؟ هل هي ردّ فعل على تملّص إسرائيلي من قرارات وتوجّهات أميركية، أم أن طبيعة القطيعة مرتبطة بشخصَي ترامب ونتنياهو فحسب؟ والأهمّ، هل يقع المحلّلون في خطأ مقاربة القطيعة التي حكمت العلاقة بين نتنياهو وإدارة الرئيس الأميركي السابق، جو بايدن، مع نسج الكثير من السيناريوات، التي لم تصمد على أرض الواقع؟ في إسرائيل، ثمّة مبالغة مفرطة في التعليقات: فمنهم مَن شبّه تعامل ترامب مع نتنياهو، بتعامله مع الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي؛ ومنهم مَن نعى العلاقات الاستراتيجية مع الولايات المتحدة، و«التي أصبحت من الماضي»، فيما تساءل آخرون عن مستقبل إسرائيل، وما إذا كانت ستصمد في وجه الضغوط الدولية والتحدّيات الإقليمية منفردة، بعيداً من أميركا، خصوصاً أن ترامب لا يضعها في مركز اهتماماته؟

على أن تلك الأسئلة التي اعتاد الإعلام العبري على طرحها في وقت الأزمات مع الولايات المتحدة، لا تعبّر عن الواقع. فالعلاقة بين واشنطن وتل أبيب «فوق - استراتيجية»، ومبنيّة على مصالح مشتركة غير آنية، وهي تراكمت وتعاظمت على مدى سنوات طويلة من التعاون والتخادم والتكامل الأمني والسياسي والاقتصادي. وعلى رغم التباينات التي تُظهر بين الحين والآخر، وأخرها في ظلّ الإدارة الحالية، فإن الواقع يشير إلى أن العلاقات لن تنكسر أو تنقلب، لأسباب كثيرة، لعلّ أبرزها:

- سيكون صعباً على الولايات المتحدة أن تجد بديلاً لإسرائيل في المنطقة، وتحديداً ما يتعلّق بدورها الوظيفي فيها، مهما تطوّرت علاقاتها مع دول إقليمية أخرى، من مثل تركيا والسعودية، وغيرهما؛ إذ تبقى تل أبيب، من منظور واشنطن ومصالحها، واحدة من الركائز الأساسية في المنطقة، على رغم اختلافهما على بعض الملفات ذات الصلة بهما.

- من جانب إسرائيل، لا يمكن الحديث عن مستقبل سياسي أو أمني وربّما أيضاً وجودي، من دون رعاية الولايات المتحدة ودعمها.

- تعاني الدولة العبرية، وكذلك مبلورو سياساتها وقراراتها، ممّن هم في الائتلاف الحاكم الحالي، من ثقة زائدة أثّرت في قراراتهم وتوجّهاتهم

> **تعاني إسرائيل، وكذلك مبلورو سياساتها، من ثقة زائدة أثّرت في قراراتهم وتوجّهاتهم**

حول قضايا استراتيجية، بُنيت على أنه يمكن «ترويض» ترامب أو استخدامه لتحقيق مصالح إسرائيل، تماماً كما تتبلور على طاولة القرار في تل أبيب.

- يُرجّح، كما حصل في محطّات سابقة من التوتّر بين إسرائيل والولايات المتحدة، أن يصل الجانبان إلى تسوية ترضيهما، وتعيد ضبط العلاقة ضمن حدود المصالح المشتركة. فعلى رغم طبيعة التباينات الحالية، وتأثير الأسلوب غير التقليدي الذي يتّبعه ترامب في التعامل مع القضايا الدولية، إلا أن العلاقة الاستراتيجية بين الطرفين لا تزال أعمق من أن تسمح بانفجار كامل أو انقطاع تام.

- العوامل الجديدة، خصوصاً الطريقة التي يتعامل بها ترامب مع الآخرين، حلفاء كانوا أو خصوماً، وميزان القوّة والاقتدار بين الجانبين، ترجّح أن يكون الجانب الإسرائيلي هو الذي سيضطرّ إلى التراجع أو التكيّف مع مطالب الإدارة الأميركية، وذلك من خلال التوجه إلى بلورة تسوية تلبّي رغبات واشنطن، سواء في ملفّ غزة، أو في العلاقات مع دول الخليج.

- يرى بعض المحلّلين أن الأزمة الحالية ناتجة من عجز إسرائيلي فعلي عن تلبية بعض الشروط السياسية التي يضعها ترامب على الطاولة، وأن التصعيد في العلاقة جاء نتيجة هذا التعذّر. ويقول أصحاب الرأي المتقدّم، إنه لو كانت إسرائيل قادرة على تنفيذ ما يطلبه ترامب - إنهاء الحرب في غزة أو تليين موقفه لإبرام صفقات وهدن طويلة، أو تقديم تنازلات في ملفّ التطبيع الخليجي -، لَما وصلت الأمور إلى هذا الحدّ من التباين والخلاف. لكن، هل سيكون نتنياهو قادراً على «تأمين البضاعة»؟ وماذا عن الثمن في الداخل الإسرائيلي، في حال تجاوب مع رغبات واشنطن وشروطها؟

- لن تكون الاستجابة، إنْ توجّهت إليها إسرائيل، سريعة كما يعتقد البعض، كما لا يُتوقّع أن تكون كاملة؛ إذ سيكون على نتنياهو أن يوازن بين مطالب وشروط ومصالح متضاربة: بين العامل الأميركي الذي يضغط بقوّة ولا قدرة على مواجهته، والعامل الداخلي، الذي يهدّد حكومته واستمراره في السلطة. مع ذلك، قد يجد رئيس الحكومة شيئاً من هذا وذاك، أي أن ينهي الحرب مع الإبقاء عليها، في ما قد يبدو للوهلة الأولى مستعصياً، لكنّ مقوّماته موجودة ويمكن العمل عليها.

على أي حال، ستحافظ إسرائيل، في المدى القريب، على مستوى تهديداتها، في ظلّ مواصلتها استعداداتها للقيام بعملية عسكرية كبرى في قطاع غزة، كانت قد وعدت بها. وهو موقف يشير إلى نيّتها إبقاء سلاح التهويل بالعملية، قائماً وفاعلاً، لزوم المرحلتَين الحالية والمقبلة، حيث التركيز الأكبر سيكون على المفاوضات والمسار الدبلوماسي؛ علماً أن القيادة العسكرية الإسرائيلية ليست مقتنعة بنجاح الخيار العسكري المتطرّف في تحقيق أهدافه، وهو ما يضيف طبقة جديدة من التعقيد على العملية. كما الخلافات العميقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل حول جدوى ذلك الخيار، من شأنها ربما أن ترفع من سقف توقّعات حركة «حماس»، إذ إن كل مؤشر إلى تراجع الدعم الأميركي غير المشروط لإسرائيل، يُقرأ في غزة - وهو صحيح - ضعفاً استراتيجياً، بما يدفع الحركة إلى التشدّد والإصرار على مواقفها أمام أيّ محاولات جديدة لإبرام صفقة تبادل وتسويات وهدن.

على الغلاف

تاريخ طويل من المناورات التكتيكية
هل ثمّة خلاف حقاً؟

حمزة الخنسا

يشهد التحالف الأميركي - الإسرائيلي واحدة من أعقد أزماته في ظل الولاية الثانية للرئيس دونالد ترامب، بعدما كانت العلاقة بين الأخير ورئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، توصف بأنها من بين الأقرب في التاريخ السياسي الحديث. وحملت الأسابيع الأخيرة مؤشرات إلى خلاف عميق بين الجانبين، خاصة بعد الإعلان عن قرار ترامب «قطع الاتصال» مع نتنياهو، واتهام مقرّبين من الأول، الأخير، بالتلاعب بساكن البيت الأبيض. وفي سابقة تعكس مدى التوتر، أعلنت الولايات المتحدة أن إسرائيل لن تكون طرفاً مباشراً في توزيع المساعدات الإنسانية في غزة، بل فقط في الجانب الأمني المحيط، وهو ما فسّره مراقبون بأنه عقوبة سياسية ورسالة بأن واشنطن لن تغطّي سياسات تل أبيب المتشدّدة بلا شروط.

خلافات شخصية... أم استراتيجية؟

ولا يُفهم التصعيد في الخطاب بين الطرفين في سياق شخصي فقط، بل هو يعكس ربما تحوّلاً في أولويات ترامب الاستراتيجية. فالرئيس الأميركي يتحرّك حالياً في اتجاه ترتيب إقليمي جديد، يشمل تهدئة مع حركة «أنصار الله» في اليمن، وفتح قنوات نفوذ جديدة في الخليج، خصوصاً مع السعودية وقطر والإمارات، ما يضع إسرائيل في موقع مختلف عن ذلك الذي اعتادت عليه. ووفقاً لما نقلته إذاعة جيش الاحتلال، أبلغ مقرّبون من ترامب، وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي رون ديرمر، بأن الرئيس الأميركي ضاق ذرعاً بتصرفات نتنياهو، ويرفض أن يَظهر بمظهر من يتم التلاعب به. وأتى هذا التسريب بالتوازي مع تأكيد البيت الأبيض تجاهل إسرائيل في جدول الزيارات الإقليمية المقبلة لترامب، في إشارة إلى تراجع مكانتها التكتيكية في حسابات الولايات المتحدة.

وكانت إدارة ترامب أعلنت، في خطوة مفاجئة، التوصل إلى اتفاق مع «أنصار الله» في اليمن يقضي بوقف متبادل للهجمات البحرية. وبينما وصف البيت الأبيض هذا التفاهم بأنه «نجاح دبلوماسي»، رأت إسرائيل فيه إقصاءً لها من ملفّ تعتبره مركزياً في معادلة الأمن الإقليمي. وأثار الاتفاق الذي تمّ بوساطة عمانية، ومن دون تنسيق واضح مع إسرائيل، استياء أوساط في حكومة نتنياهو، تخشى تحوّل واشنطن إلى تبني مقاربة براغماتية تتجاوز الحلفاء التقليديين إذا ما اقتضت المصلحة، خصوصاً أن الاتفاق الأميركي - اليمني يُفسَّر كـ«نتيجة» للتوتر الأميركي - الإسرائيلي، وليس كسبب له؛ أي إن الأول يأتي ربما كردّ على سياسات نتنياهو المتصلّبة، كما قد يكون جزءاً من محاولة ترامب إظهار نفسه قادراً على حلحلة الملفات المعقّدة في الشرق الأوسط، واحتواء النفوذ الإيراني عبر التفاهم مع خصوم سابقين مثل «أنصار الله».

وفوق ذلك كله، تأتي زيارة ترامب المقرّرة إلى السعودية وقطر والإمارات بين 13 و16 أيار الجاري، في توقيت بالغ الحساسية. فهي لا تحمل فقط رسائل تعاون اقتصادي وأمني مع هذه العواصم، بل تعني أيضاً أن واشنطن تعيد تعريف أولوياتها الإقليمية. كما أن غياب المحطة الإسرائيلية عنها يعكس توجهاً جديداً، عنوانه التحرك نحو «تطبيع بلا شروط إسرائيلية»، وهو ما ترفضه حكومة نتنياهو علناً.

تأتي زيارة ترامب المقرّرة إلى السعودية وقطر والإمارات بين 13 و16 أيار الجاري، في توقيت بالغ الحساسية (أ ف ب)

قراءات في التطنيش الترامبي لنتنياهو: إسرائيل ليست «المكان السعيد»

ريم هاني

قرّر الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، مرة جديدة، كسر التقليد الطويل الأمد الذي اتّبعه الرؤساء الأميركيون طوال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، والذي كان يقضي بأن تكون الزيارة الخارجية الأولى للرئيس الجديد إلى «أقرب جيران» الولايات المتّحدة، وتحديداً المكسيك وكندا. وعلى الرغم من أنّ التقليد المشار إليه شهد استثناءين اثنين، وهما الزيارة التي أجراها الرئيس الأميركي السابق، جو بايدن، إلى المملكة المتّحدة، وتلك التي قام بها الرئيس السابع والثلاثون، ريتشارد نيكسون، إلى بلجيكا، فإنّ كلا البلدين يُصنّفان على أنّهما من بين حلفاء واشنطن التقليديين.

على أنّ التوترات التي خلقها الرئيس الأميركي مع أقرب حلفائه، من مثل كندا التي تعهّد، في غير محطة، بجعلها الولاية الـ51 في بلاده، وغيرها من دول أميركا الشمالية التي شكّلت هدفاً لحرب ترامب التجارية غير المسبوقة، جعلت العديد من المراقبين يجادلون بأنّ السعودية، وعلى الرغم من الاضطرابات التي يشهدها الشرق الأوسط، واستمرار حرب الإبادة على الفلسطينيين، إلا أنّها تقدّم منصة «فخمة وخالية من الاحتكاك السياسي الذي قد يخيّم على الزيارات إلى أوتاوا أو مكسيكو سيتي أو لندن».

ويرد في تقرير نشره «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية» أنه سيكون هناك، على الأرجح، الكثير من القضايا التي سيتم الحديث عنها خلال جولة ترامب الشرق الأوسطية، في وقت تدعم فيه دول الخليج بحذر الرئيس الأميركي السابق، جو بايدن، إلى المملكة المتحدة، وتلك التي قام بها إيران. كما قد يتطرّق المسؤولون الخليجيون إلى «سبل منع عودة وكلاء إيران في المنطقة، فيما سيكون لبنان على رأس تلك القائمة، على أن تتبعه فوراً مسألة تشجيع الاستقرار في سوريا»، جنباً إلى جنب آلية إنهاء الحرب في غزة و«إبعاد (حماس) عن السلطة». وينقل التقرير عن جون الترمان، نائب الرئيس الأول للمركز، قوله إنّ شركاء واشنطن أبلغوه بأنهم يسمعون تصريحات أميركية حول كل تلك القضايا، إلا أنها لا تُترجم إلى أي سياسات ملموسة، ولا سيما أنّ الإدارة لا تتحدث بصوت واحد، وتبقى تصرفاتها «غير منسّقة».

على أنّ المحادثات المتوقّع إجراؤها قد تتطرق إلى كل تلك الملفات «بشكل خفيف»، فيما يبقى الهدف الرئيس من الزيارة هو منح ترامب بعض «الانتصارات»، من خلال الإعلان عن صفقات تجارية واستثمارية من شأنها تلميع صورة الرئيس كمفاوض، وكشف «مبالغ كبيرة» إلى العلن. وطبقاً للمصدر نفسه،

> **الهدف الرئيسي من الزيارة هو تلميع صورة ترامب كمفاوض، وكشف «مبالغ كبيرة» إلى العلن**

لا يمكن الهروب من فكرة أن ترامب سيذهب إلى الخليج، لأن ذاك هو «مكانه السعيد»، حيث سيكون مضيفوه «كرماء ومضيافين، وحريصين على عقد الصفقات»، كما أنّهم «سيتملّقونه بدلاً من انتقاده». وفي حديث منفصل، ينقل المركز عن غريسيلين باسكاران، مديرة برنامج «أمن المعادن الحيوية» التابع للمركز، قولها إنّ «التعدين والطاقة هما على رأس أولويات زيارة ترامب المقبلة»؛ إذ تظل معالجة المعادن «نقطة التضييق» الأكثر أهمية بالنسبة إلى الولايات المتحدة، نظراً إلى أنّ الصين تسيطر على ما بين 60 و90% من تلك العمليات، ما يعني أنّ الشراكة الأعمق بين الولايات المتحدة والسعودية تمثّل فرصة استراتيجية لتقليل الاعتماد على الصين، وتعزيز «أمن سلاسل التوريد على المدى الطويل». وحتى قبل صعوده إلى الطائرة، انتزع ترامب، طبقاً لمراقبين، «فوزاً مهماً» من الرياض، على خلفية زيادة الأخيرة لإمداداتها من النفط الخام، ما ساهم في انخفاض حادّ في أسعار النفط.

وفي ما يتعلق بموقف إسرائيل من التطورات الراهنة، يجادل البعض بأنّ صناع السياسة في تل أبيب يحاولون معرفة أين يقف الأميركيون حالياً، في وقت يبدو فيه من غير المؤكد ما إذا كانت أي ضربة إسرائيلية على طهران ستنجح بالفعل في إبطاء البرنامج النووي الإيراني، هذا إن لم تؤدّ إلى تسريعه. وتجد إسرائيل، على الأغلب، صعوبة في فهم «الحدود والخطوط الحمر للإدارة التي تتمسك بالتزاماتها الأمنية في الشرق الأوسط، وتعارض خوض حرب مفتوحة في المنطقة»، ولا سيما أنّ هدف تل أبيب تمثّل، لفترة طويلة، ببحث كيفية جعل واشنطن تلتزم «بإنهاء أي مهمة قد يبدأها الإسرائيليون».

ويرى البعض أنّ الرسائل التي يحاول الرئيس الأميركي إرسالها إلى بنيامين نتنياهو، «في مكانها». ومن بين هؤلاء، المحلل والكاتب توماس فريدمان، الذي بلغت في مقال رأي نشرته «نيويورك تايمز» إلى أنّه على الرغم من أنّه لا يتفق مع الكثير من المبادرات التي قام بها ترامب منذ توليه منصبه، إلا أنّ الشرق الأوسط بشكل «استثنائي». ويردف فريدمان أنّ سلام ترامب إلى المنطقة لمقابلة زعماء السعودية والإمارات وقطر، واستثناء إسرائيل من جولته، يشير إلى أن الرئيس الأميركي بدأ يفهم حقيقة حيوية، مفادها أن «هذه الحكومة الإسرائيلية تتصرف بطرق تهدد المصالح الأميركية المتشددة في المنطقة، وأنّ نتنياهو ليس صديقاً».

وبعدما كان نتنياهو يظنّ أنّه قادر على جعل الرئيس الأميركي «أحمق تابعاً له»، إلا أنّ الرسالة التي أوصلها الأخير إليه، من خلال مفاوضاته المستقلة مع «حماس» وإيران و«أنصار الله»، ومفادها أن إسرائيل غير قادرة على تحويله إلى «كبش فداء»، كانت مثيرة للإعجاب، وجعلت رئيس وزراء الكيان «في حالة ذعر». ويؤكد صاحب الرأي المتقدّم أن حكومة نتنياهو هذه، ومن خلال سعيها لتحقيق أجندتها المتطرفة، «تقوّض مصالحنا»، فيما يبقى من المهم الدفاع عن «البنية الأمنية الأميركية التي بناها أسلافنا في المنطقة»، مشيراً إلى أنّه تم إنشاء هيكل التحالف الأميركي - العربي - الإسرائيلي الحالي من قبل ريتشارد نيكسون وهنري كيسنجر بعد حرب أكتوبر عام 1973، لطرد روسيا وجعل أميركا القوة العالمية المهيمنة في المنطقة، الأمر الذي خدم مصالحنا الجيوسياسية والاقتصادية منذاك، مضيفاً أنّ «هذا الهيكل برمّته يعتمد إلى حد كبير على التزام الولايات المتحدة وإسرائيل بحل الدولتين».

إلا أن حكومة نتنياهو جعلت ضمّ الضفة الغربية إحدى أولوياتها، منذ وصلت إلى السلطة في أواخر عام 2022، أي قبل وقت طويل من عملية السابع من أكتوبر، بحسب المصدر نفسه. ونتيجة لذلك، ربما يجد الأميركيون والسعوديون مصلحة في التخلي عن إدماج إسرائيل في أي صفقات قادمة محتملة.

دفع أميركي حثيث نحو هدنة مؤقّتة

> **طالما ظهرت تسريبات متكررة عن توتر العلاقة بين واشنطن وتل ابيب، خصوصاً في عهد إدارة بايدن**

مناورة جديدة؟

على الرغم من الضجيج الإعلامي حول «الخلاف» بين ترامب ونتنياهو، تتصاعد تساؤلات مشروعة عن مدى حدّة هذا التوتر، وما إن كان أقرب إلى مناورة سياسية متبادلة بين زعيمين يجيدان استخدام الإعلام والرمزيات التكتيكية؟ السوابق القريبة تدعم هذا الشك؛ إذ طالما ظهرت تسريبات متكررة عن توتر العلاقة بين واشنطن وتل أبيب، خصوصاً في عهد إدارة بايدن في بدايات الحرب على غزة، قبل أن تتكشف الوقائع لاحقاً عن دعم أميركي شبه مطلق، تمثّل في تزويد غير مشروط بالسلاح والذخائر، وتغطية سياسية في مجلس الأمن، وصولاً إلى دعم الإدارة الحالية خروق إسرائيل المتواصلة للاتفاق بشأن وقف إطلاق النار في لبنان.

وفي ضوء ذلك، يُطرح سؤال أساسي: هل يستخدم ترامب ورقة «الخلاف» مع نتنياهو» لتحسين شروطه مع الخليج وتلميع صورته داخلياً، من دون أن يعني هذا فعلياً تخلّيه عن الحرب، وهو ما عبّرت عنه «هيئة البث» الإسرائيلية صراحة بقولها إن إسرائيل «غير مستعدة حتى الآن للذهاب نحو صفقة شاملة». وفي حين ذكر تقرير لـ«القناة 12» العبرية أن «الأسبوع المقبل سيكون حاسماً في موضوع الصفقة»، أشارت القناة نفسها إلى ضغوط أميركية متزايدة تُمارَس على قطر، في محاولة لدفع «حماس» إلى «التعاطي الإيجابي مع العرض المطروح». وفي السياق نفسه، نقلت وسائل إعلام عبرية عن مصادر مطّلعة أن «رئيس وزراء قطر طالب الحركة بضرورة التجاوب مع المقترحات الأميركية لإنجاز الصفقة».

> **واشنطن تسعى لتحقيق اختراق سياسي يرافق زيارة ترامب، لكنّ الاتصالات الجارية لم تثمر حتى اللحظة عن نتائج نهائية**

من جهته، تحدّث مسؤول مصري شارك في الاتصالات الجارية، إلى «الأخبار»، عن «ضغوط أميركية غير مسبوقة تُذكّر بتلك التي سبقت تولّي ترامب الرئاسة، وأسفرت حينها عن اتفاق تهدئة». وكشف أن بعض المحادثات شهدت تصريحات أميركية واضحة تُحمّل إسرائيل مسؤولية تعثّر المساعي الحالية، مع «تلويح بإجبارها على مواجهة ضغوط المجتمع الدولي». وفي هذا السياق، ذكرت قناة «كان» العبرية أن «واشنطن قد تتراجع عن مطلبها السابق المتعلّق بنزع سلاح حماس، كشرط مسبق لوقف إطلاق النار». كما أشارت صحيفة «معاريف» إلى خشية المستوى السياسي من «احتمال فرض ترامب صفقة بشروط لا تلبّي المصالح الإسرائيلية بالكامل». وأكّد هذا التخوّف مراسل «القناة 12»، مشيراً إلى «فرق جوهري بين إدارتَي ترامب وبايدن، إذ بينما كان بايدن يكتفي بالتلويح بعقوبات إعلامية خجولة، فإن ترامب يفضّل خلق بدائل ميدانية وعدم انتظار تجاوب من نتنياهو، تماماً كما فعل في الملف الإيراني».

إلى ذلك، حمل لقاء الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي مع نظيره الفلسطيني محمود عباس في موسكو، «تؤثرات غير معلنة»، حيث كشفت مصادر مطّلعة أن «اللقاء تخلّله ما يشبه التوبيخ من السيسي لعباس، واتهاماً له بعدم التجاوب الجادّ مع الأفكار المدعومة خليجياً لحلحلة الوضع في غزة، وإلقاء لمسؤولية استمرار الانقسام الفلسطيني وغياب أي أفق حقيقي للمصالحة عليه».

تحدّث مسؤول مصري عن ضغوط أميركية غير مسبوقة تُذكّر بتلك التي سبقت تولّي ترامب الرئاسة. وأسفرت حينها عن اتفاق تهدئة (أ ف ب)

تشهد المنطقة زخماً دبلوماسياً غير مسبوق قبيل زيارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، المرتقبة إليها، وفي ظلّ تحركات مكثّفة تهدف إلى انتزاع «هدنة مؤقتة» في قطاع غزة، على الأقل، تتيح للإدارة الأميركية تسويقها كإنجاز سياسي تزامناً مع جولة ترامب الخليجية. وتكثّفت هذه الجهود على وقع اتصالات تُجريها واشنطن مع وسطاء إقليميين، وعلى رأسهم مصر وقطر، إضافة إلى قنوات خلفية مع حركة «حماس»، وسط غياب أي اختراق حقيقي في المفاوضات حتى الآن. ووفقاً لما كشفه مسؤولون مصريون تحدّثوا إلى «الأخبار»، فإن «واشنطن تسعى لتحقيق اختراق سياسي برافق زيارة ترامب، لكنّ الاتصالات الجارية لم تثمر حتى اللحظة نتائج نهائية». وأوضح هؤلاء أن المقترحات المطروحة تدور حول «هدنة مؤقتة يجري تغليفها بإطار تفاوضي أوسع، قد يُمهّد لمناقشات لاحقة بشأن تسوية شاملة، من دون أن تُفرض حالياً أي صيغة نهائية على الأطراف».

ويدرك الوسطاء أن الوقت لا يسمح بإبرام «اتفاق نهائي»، ولا سيّما في ظلّ تشبّث كل طرف بمطالبه، وتشدّد إسرائيل في شروطها التي يُنظر إليها على أنها تعجيزية، إذ تُصرّ تل أبيب على صفقة جزئية تتيح لها تحرير أسراها من دون تقديم تنازلات جوهرية أو الالتزام بإنهاء الحرب، وهو ما عبّرت عنه «هيئة البث» الإسرائيلية صراحة بقولها إن إسرائيل «غير مستعدة حتى الآن للذهاب نحو صفقة شاملة». وفي حين ذكر تقرير لـ«القناة 12» العبرية أن «الأسبوع المقبل سيكون حاسماً في موضوع الصفقة»، أشارت القناة نفسها إلى ضغوط أميركية متزايدة تُمارَس على قطر، في محاولة لدفع «حماس» إلى «التعاطي الإيجابي مع العرض المطروح». وفي السياق نفسه، نقلت وسائل إعلام عبرية عن مصادر مطّلعة أن «رئيس وزراء قطر طالب الحركة بضرورة التجاوب مع المقترحات الأميركية لإنجاز الصفقة».

من جهته، تحدّث مسؤول مصري شارك في الاتصالات الجارية، إلى «الأخبار»، عن «ضغوط أميركية غير مسبوقة تُذكّر بتلك التي سبقت تولّي ترامب الرئاسة، وأسفرت حينها عن اتفاق تهدئة». وكشف أن بعض المحادثات شهدت تصريحات أميركية واضحة تُحمّل إسرائيل مسؤولية تعثّر المساعي الحالية، مع «تلويح بإجبارها على مواجهة ضغوط المجتمع الدولي». وفي هذا السياق، ذكرت قناة «كان» العبرية أن «واشنطن قد تتراجع عن مطلبها السابق المتعلّق بنزع سلاح حماس، كشرط مسبق لوقف إطلاق النار». كما أشارت صحيفة «معاريف» إلى خشية المستوى السياسي من «احتمال فرض ترامب صفقة بشروط لا تلبّي المصالح الإسرائيلية بالكامل». وأكّد هذا التخوّف مراسل «القناة 12»، مشيراً إلى «فرق جوهري بين إدارتَي ترامب وبايدن، إذ بينما كان بايدن يكتفي بالتلويح بعقوبات إعلامية خجولة، فإن ترامب يفضّل خلق بدائل ميدانية وعدم انتظار تجاوب من نتنياهو، تماماً كما فعل في الملف الإيراني».

إلى ذلك، حمل لقاء الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي مع نظيره الفلسطيني محمود عباس في موسكو، «تؤثرات غير معلنة»، حيث كشفت مصادر مطّلعة أن «اللقاء تخلّله ما يشبه التوبيخ من السيسي لعباس، واتهاماً له بعدم التجاوب الجادّ مع الأفكار المدعومة خليجياً لحلحلة الوضع في غزة، وإلقاء لمسؤولية استمرار الانقسام الفلسطيني وغياب أي أفق حقيقي للمصالحة عليه».

أميركا تطلق خطة المساعدات: السيطرة على غزّة... بالغذاء

غزة - يوسف فارس

بعد 70 يوماً من إغلاق المعابر على كامل حدود قطاع غزة، و40 يوماً من توقّف عمل المخابز بشكل كلي، دخلت الإدارة الأميركية على المشهد بثوب «المخلّص» من المجاعة الشاملة، لكن من أكثر الطرق إثارة للريبة والجدل، إذ تشرّبت هذه الإدارة المخاوف والذرائع الإسرائيلية الموصومة بـ«سيطرة حماس على المساعدات»، ووضعت آلية مختلفة، تقضي بأن تتولى مؤسسة جديدة تحمل اسم «مؤسسة غزة الإنسانية» (GHF) مهمة حشد المساعدات الإنسانية من الدول المانحة، على أن تتولى الشركتان الأمنيتان الأميركيتان نفساهما اللتان عملتا عند حاجز «نتساريم»، خلال المرحلة الأولى من صفقة تبادل الأسرى، وهما «SRS» و«UG»، مهمة تأمين المساعدات وتوصيلها إلى أربع نقاط توزيع، حيث من المقرّر أن توزّع على مليون و200 ألف محتاج في المرحلة الأولى، على أن تصل إلى مليوني محتاج في مراحل لاحقة، من خلال 400 نقطة توزيع.

ولن يتدخّل جيش الاحتلال في عمل الشركتين وفقاً لتصريحات السفير الأميركي في إسرائيل، مايك هاكابي، فيما تشير المعطيات المتوفّرة حتى اللحظة إلى أن المؤسسة لا تضع شروطاً على «أهلية» الحاصلين على المساعدات، ولن توزّع هذه الأخيرة في مراكز تحت إشراف عسكري من الجيش الإسرائيلي، ما يعني أن المخطّط الأميركي مختلف عن ذلك الذي تتبناه تل أبيب، ويستهدف ضمان استمرار تدفّق التمويل العربي والدولي له. وكانت المؤسسة الجديدة حدّدت ما قيمته 50% من سعر كل وجبة، كتكاليف تشغيلية تتقاضاها الشركتان الأمنيتان، فيما يظهر أنها تنتهج أسلوب التقطير واحتساب السعرات الحرارية ذاته الذي يتحدّث به عادة رئيس وزراء الاحتلال، بنيامين نتنياهو. وعلى الرغم من ما أثارته المبادرة الجديدة من ردود فعل في الأوساط الإسرائيلية كونها «تقوّض» ورقة الحصار التي يأمل جيش العدو منها أن تساهم في تسريع إخضاع حركة «حماس»، فإن خطة واشنطن تصيد عدة عصافير بحجر واحد، وتصبّ في خانة الرؤية الأميركية - الإسرائيلية المشتركة للقطاع عبر الآتي:

- تساهم هذه الآلية في تقويض عمل المؤسسات الدولية وعلى رأسها «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين» (أونروا).

- تجرّد الخطة حركة «حماس» من واحد من أهم مظاهر الحكم والحضور المدني في المشهد، وهو توزيع المساعدات.

- تساهم في تجريد المشكلة من بعدها السياسي والنضالي وتحشرها في الجانب الإنساني الإغاثي.

- تعطّل الأدوار السياسية للفلسطينيين سواء في غزة أو الضفة الغربية.

- يُطرح الدور الانتدابي الأميركي في ذروة الجوع، أي في ظرف تفقد فيه النخبة السياسية السيطرة والتأثير على توجهات الجمهور، ما يضمن الدوران الشعبي في فلك المشروع والمخطط بدوافع غريزة البقاء.

- تتقاطع تلك الجهود السريعة مع مخطّطات تتحدّث عن إمكانية تشكيل لجنة إدارة للقطاع ترأسها شخصية أميركية، وهو ما يؤسّس لوضع يطول حاله، ويجمّد مشكلة القطاع في إطار إنساني ولا يبحث في حلها.

- ثمة خشية من تحويل المساعدات إلى أداة لإعادة تشكيل البناء الديموغرافي للقطاع، إذ تحدّثت صحيفة «نيويورك تايمز» عن حصر مراكز التوزيع الأربعة في مناطق جنوب غزة لإجبار الأهالي على النزوح من الشمال، بما يساهم في تحقيق مخطّط التهجير.

ويقارن الكاتب الفلسطيني، عبد السلام مرتجى، المخطط الأميركي للقطاع، بالمسار الذي جُرّب في قضايا كوسوفو والبوسنة وتيمور الشرقية وأجزاء من هايتي وجنوب السودان، حيث تمّ تقديم الإدارة الدولية المؤقتة بوصفها حلاً سريعاً لفوضى ما بعد الصراع والانهيار، وهو ما يتم الترويج له في المرحلة الحالية تحت عناوين من مثل «إدارة إنسانية ذات طابع تكنوقراطي». ويرى مرتجى أن المبادرة تظهر في إطار محاولة إعادة بناء المؤسسات، لكنها في العمق «تُقصي الفاعل المحلي من مركز القرار، وتحوّل الشعب إلى جمهور مُدار، لا إلى كيان يُفاوض على مستقبله، حيث يتراجع التمثيل الشعبي، ويتفتّت المجتمع، ويتعاظم نفوذ الشركات الدولية على حساب الإرادة الوطنية». وتأتي المؤسسة الأميركية الجديدة من هذا النمط، فهي كيان خارجي مُصمَّم ومُموَّل، ومُدار من نخبة تكنوقراطية غربية، ولا يخضع لمساءلة محلية، ولا يحمل تفويضاً سياسياً، لكنه يُمسك بمفاتيح الحياة اليومية لسكان القطاع. وستُشرف المؤسسة على الغذاء والمياه ونظم التوزيع والتمويل وتُدير «مواقع آمنة» على الأرض خارج سيطرة السلطة أو الفصائل، وتعمل وفق معايير رقابية بحدّدها دافعو الأموال وشركات الأمن.

وبهذا المعنى، لا تقوم المؤسسة بملء فراغ مؤقّت، بل تصوغ شكلاً بديلاً للعلاقة بين الناس واحتياجاتهم. كما أنها لا تكمّل السلطة، بل تحلّ محلّها لا بوصفها مشروعاً سياسياً، إنما كمنصة إدارة فوقية.

الحدث

صنعاء تفعّل حظرها الجوي
استهداف متجدّد لـ«بن غوريون»

صنعاء - **رشيد الحداد**

في إطار تنفيذ قرار الحظر الجوي على الكيان الإسرائيلي، جدّدت صنعاء هجماتها على مطار «بن غوريون» في تل أبيب، والذي قصفته، أمس، بصاروخ باليستي أغلق المطار لفترة وجيزة ودفع بملايين الإسرائيليين إلى الملاجئ. وجاء ذلك في وقت تستمر فيه في التحضير للرد على العدوان الإسرائيلي الأخير الذي استهدف مطار صنعاء ومحطات الكهرباء فيها وميناء الحديدة. وبالتزامن مع مسيرات شعبية واسعة شهدها ميدان السبعين في العاصمة وعشرات الساحات والميادين الأخرى، وأكّد المشاركون فيها تمسّكهم بنصرة قطاع غزة، كما في كل يوم جمعة، أعلن المتحدث باسم القوات المسلّحة اليمنية، العميد يحيى سريع، في بيان، أن تلك القوّات استهدفت مطار «بن غوريون» بصاروخ باليستي فرط صوتي، وقال إن الصاروخ «وصل إلى هدفه بنجاح بعدما فشلت المنظومات الاعتراضية في التصدّي له، وتسبّب في هرع الملايين إلى الملاجئ وتوقّف حركة المطار قرابة الساعة». وجدّد دعوة شركات الطيران التي لم تستجب بعد لقرار الحظر إلى وقف رحلاتها الجوية إلى فلسطين المحتلة، منبهاً أن القرار مستمر حتى وقف العدوان على غزة ورفع الحصار عنها. كما ذكر سريع أن قوات صنعاء نفّذت عملية عسكرية أخرى طاولت هدفاً حيوياً للعدو في منطقة تل أبيب، بطائرة مُسيّرة من نوع «يافا».

وكانت وسائل إعلام إسرائيلية أكّدت انطلاق صفّارات الإنذار، عصر أمس، في تل أبيب ومناطق محيطة بها، بعد رصد إطلاق صاروخ بعيد المدى من اليمن. وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» إن حركة الطيران توقّفت في مطار «بن غوريون» لفترة وجيزة. وتزامنت هذه العملية مع استمرار أعمال الصيانة في مطار صنعاء، والذي تضرّر بشكل كبير نتيجة العدوان الإسرائيلي الأخير. وأكّدت مصادر ملاحية أن العمل لإعادة تشغيل المطار يجري بشكل مكثّف، في محاولة لوقف معاناة المسافرين العالقين في عدد من مطارات الدول العربية.

كذلك، وفي إطار اتفاق التهدئة بين صنعاء وواشنطن، أعلنت شركة النفط اليمنية انتهاء أزمات الوقود، وعودة الأوضاع إلى طبيعتها، في حين أفادت مصادر ملاحية في ميناء الحديدة بعودة حركة الميناء، مع استمرار أعمال الصيانة لإصلاح الأضرار التي خلّفها العدوان الإسرائيلي الأخير.

وعلى خطّ موازٍ، تتفاقم حالة الإحباط في أوساط الفصائل الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي، في أعقاب إعلان الاتفاق اليمني - الأميركي. وعلى مدى اليومين الماضيين، تعرّض «المجلس الرئاسي» لانتقادات حادّة من الموالين له، والذين اعتبروا أن ما جرى أفشل فرصة كبيرة كانت بيد حكومة عدن، لصالح تحريك الجبهات وفرض واقع عسكري على الأرض، وأن الاتفاق نسف كل الاستعدادات العسكرية التي أجرتها الفصائل الموالية للإمارات، والتي كانت تنتظر إشارة البدء من قبل أبو ظبي وواشنطن للسيطرة على مدينة الحديدة.

وكانت تلك الفصائل شنّت هجوماً على خطوط التماس في منطقة الجراحي في الساحل الغربي، وقصفت بالمدفعية عدداً من القرى في أعقاب إعلان التهدئة، قبل أن تتراجع. كما شهدت جبهات حريب جنوب مأرب، خلال اليومين الماضيين، مواجهات عسكرية بين «الوية العمالقة» التابعة للإمارات وقوات صنعاء، أدّت إلى سقوط قتلى وجرحى من الطرفين.

وفي السياق نفسه، تراجع «المجلس الانتقالي الجنوبي» عن إغلاق طريق الإمداد الرئيسي الرابط بين صنعاء وميناء عدن خلال الساعات الماضية، بعد تمكّن سلطات الأولى من الانتهاء من الصيانة المؤقتة لميناءي الحديدة ورأس عيسى، واستئناف نشاطهما. وقالت مصادر قبلية في محافظة منشآت نووية سرّية في إيران، وذلك استناداً إلى صور التقطتها الأقمار الاصطناعية. ونقلت القناة عن معلومات صادرة عن «المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية» التابع لمنظّمة «مجاهدي خلق» الإيرانية المعارضة، أن المنشأة تقع في محافظة سمنان الإيرانية، في وسط البلاد، وتمتدّ على مساحة تقارب 2500 فدان، وأن «الغرض الرئيسي منها هو استخراج التريتيوم، وهو نظير مشعّ يُستخدم لزيادة القوّة التدميرية للأسلحة النووية». وبحسب القناة الأميركية، فإن اكتشاف هذا الموقع سيزيد من تعقيدات الدبلوماسية الحسّاسة المحيطة بالقدرات النووية الإيرانية، وإمكانية إحياء اتفاق جديد.

وفي أول ردّ فعل إيراني على التقرير، نفى وزير الخارجية بشكل قاطع ما أوردته «فوكس نيوز»، قائلاً إنه «مع استئناف المحادثات بين إيران والولايات المتحدة، يُنشر المزيد من صور الأقمار الاصطناعية لإثارة المخاوف في شأن إيران». ولفت عراقجي إلى أن «رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، يسعى إلى تعطيل المحادثات، ولم يَعُد لديه أيّ مصداقية، وهو يواصل الآن مساعيه لفرض إملاءاته على الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، عبر عملائه». وفي وقت سابق، أكّد عراقجي، أن نتنياهو «يحاول فرض إملاءاته على الرئيس ترامب، في إطار المسار الدبلوماسي مع إيران، لجرّ المنطقة إلى كارثة أخرى».

وفي سياق متصل، نقل موقع «أكسيوس» عن مصدرين مطّلعين، قولهما إن الرئيس الأميركي عقد، الخميس الماضي، لقاءً خاصاً مع رون ديرمر، وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي وأحد أقرب مستشاري نتنياهو، وناقش معه الملف النووي الإيراني والحرب في غزة.

إلى ذلك، أكّد الناطق باسم «منظمة الطاقة الذرية» الإيرانية، بهروز كمالوندي، ردّاً على تصريحات وزير الخارجية الأميركي، ماركو روبيو، والتي قال فيها إن «إيران هي الدولة الوحيدة التي لا تمتلك أسلحة نووية ولكنها تقوم بالتخصيب»، أن «إيران ليست الدولة الوحيدة التي تخصّب اليورانيوم، وفي الوقت نفسه لا تملك أسلحة نووية». وأضاف كمالوندي: «هناك دول مثل بلجيكا وهولندا وكوريا الجنوبية واليابان والأرجنتين وألمانيا، لا تملك أسلحة نووية ولكنها تقوم بالتخصيب، لذلك، يجب القول: يبدو أنه يتعيّن على المسؤولين الأميركيين أن يدرسوا قليلاً ويتحدّثوا بحذر عند الإدلاء بتصريحاتهم».

اليمنيون يؤيدون استمرار إسناد غزة (أ ف ب)

تقرير

جولة تفاوض رابعة غداً
إيران - أميركا: شدّ الحبال متواصل

طهران - **محمد خواجوئي**

بعد تأجيل الجولة الرابعة من المحادثات الإيرانية - الأميركية، والتي كان مقرّراً عقدها في الثالث من الجاري في روما، أفادت مصادر دبلوماسية، ووكالة «تسنيم» الإيرانية لـ«أنباء» بأن الجولة المذكورة ستُعقد غداً، في العاصمة العمانية مسقط، أي قبل يومين من بدء زيارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إلى المنطقة. وكما في الجولات السابقة، يُرتقب أن يقود كل من وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي، والمبعوث الخاص للرئيس الأميركي ستيف ويتكوف، وفدَي البلدَين المفاوضَين.

وقبيل انطلاق محادثات الأحد، يزور عراقجي، اليوم، كلّاً من السعودية وقطر، وفق ما أعلن الناطق باسم الخارجية، إسماعيل بقائي، لافتاً إلى أن «السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية تقوم على التعزيز المستمرّ للعلاقات مع الجيران. وفي هذا الإطار، سيتوجه وزير الخارجية، السبت، إلى الرياض للقاء والتباحث مع كبار المسؤولين السعوديين»، على أن ينتقل مساء اليوم، وفق الناطق نفسه، إلى الدوحة للمشاركة في منتدى الحوار الإيراني - العربي.

وتستبق زيارة عراقجي إلى الرياض والدوحة، جولة ترامب الشرق أوسطية، والتي ستشمل إلى هاتين العاصمتين، أبو ظبي، علماً أن رحلته المرتقبة تجري في ظروف مختلفة تماماً عن الرحلات السابقة، عام 2017، وخصوصاً لجهة موقف الدول العربية من إيران، مع اتجاه الأولى، خلال العامين الماضيين، نحو التهدئة والتقارب مع الأخيرة، ولا سيما منذ استعادة العلاقات السعودية - الإيرانية، في آذار 2023. وتشعر هذه الدول، راهناً، بالقلق إزاء تصاعد التوترات بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل، وتأثيرها السلبي على أوضاعها الأمنية، إذ أعربت مراراً عن دعمها للعملية الدبلوماسية لحلّ القضية النووية الإيرانية. ولذلك، يرى العديد من المراقبين أن دعم البلدان العربية للمحادثات الإيرانية - الأميركية القائمة، يزيد من فرص نجاحها.

> دعم الدول العربية للمحادثات الإيرانية - الأميركية القائمة، يزيد من فرص نجاحها

وعشية الجولة الرابعة من المحادثات الإيرانية - الأميركية، بحث عراقجي، في اتصال مع المدير العام لـ«الوكالة الدولية للطاقة الذرية»، رافائيل غروسي، القضية النووية. وأفادت وكالة «مهر» للأنباء بأن الجانبين بحثا، صباح أمس، «تعاون إيران مع الوكالة والبرنامج النووي الإيراني»، كما ناقشا «مستجدات عملية التفاوض غير المباشرة بين إيران وأميركا». وجرت هذه المحادثة قبل ساعات ممّا كشفته قناة «فوكس نيوز» الأميركية حول وجود عبر عملائه». وفي وقت سابق، أكّد عراقجي، أن نتنياهو «يحاول فرض إملاءاته على الرئيس ترامب، في إطار المسار الدبلوماسي مع إيران، لجرّ المنطقة إلى كارثة أخرى».

وفي سياق متصل، نقل موقع «أكسيوس» عن مصدرين مطّلعين، قولهما إن الرئيس الأميركي عقد، الخميس الماضي، لقاءً خاصاً مع رون ديرمر، وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي وأحد أقرب مستشاري نتنياهو، وناقش معه الملف النووي الإيراني والحرب في غزة.

إلى ذلك، أكّد الناطق باسم «منظمة الطاقة الذرية» الإيرانية، بهروز كمالوندي، ردّاً على تصريحات وزير الخارجية الأميركي، ماركو روبيو، والتي قال فيها إن «إيران هي الدولة الوحيدة التي لا تمتلك أسلحة نووية ولكنها تقوم بالتخصيب»، أن «إيران ليست الدولة الوحيدة التي تخصّب اليورانيوم، وفي الوقت نفسه لا تملك أسلحة نووية». وأضاف كمالوندي: «هناك دول مثل بلجيكا وهولندا وكوريا الجنوبية واليابان والأرجنتين وألمانيا، لا تملك أسلحة نووية ولكنها تقوم بالتخصيب، لذلك، يجب القول: يبدو أنه يتعيّن على المسؤولين الأميركيين أن يدرسوا قليلاً ويتحدّثوا بحذر عند الإدلاء بتصريحاتهم».

قضية

الجيش السوري الناشئ
الأجانب ليسوا كلّ المشكلة

> تسبّبت التهدئة بين صنعاء وواشنطن بإحباط الفصائل الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي

في وقت يتم فيه التركيز على ملف المقاتلين الأجانب، والذين يعمل الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية، أحمد الشرع، على دمجهم في الجيش الناشئ، بعد منح رتب عسكرية لعدد منهم، تطفو على السطح أزمة أخرى تتعلق بهيكلية هذا الجيش، ربطاً بالشخصيات التي يتم تسليمها مهام قيادية فيه، الأمر الذي يزيد من تعقيد هذا الملف. وشكّل المقاتلون الأجانب، والذين تختلف التقديرات حول عددهم (بعضها يشير إلى وجود 30 ألف مقاتل) في الفترة الأخيرة، أحد محاور النقاش بين الشرع وإدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، والتي اشترطت على الأول إبعاد المسلحين المتشددين، والمساعدة في «محاربة الإرهاب»، من ضمن قائمة تضم 6 شروط أخرى، للانفتاح على الحكومة التي لا تزال واشنطن ترفض الاعتراف بها.

وفور وصوله إلى السلطة، بعد حل الجيش، منح الشرع رتباً عسكرية لنحو 55 شخصاً، بينهم عدد من الأجانب، بهدف تشكيل أساس لبناء جيشه الجديد. ومن بين المسلحين الأجانب الذين تم منحهم صفة ضباط في الجيش (بعضهم مصنّف على قوائم الإرهاب)، الألباني عبدل بشاري، الذي يقود منذ سنوات «جماعة الألبان» التي كانت تنشط في شمال غرب سوريا، والتركي عمر محمد جفتشي، والمصري علاء محمد عبد الباقي، المطلوب لمحكمة الإرهاب المصرية، وعبد العزيز داوود خدابردي الذي ينحدر من الأقلية التركستانية في الصين، وكانت تربطه صلات بتنظيم «القاعدة»، والطاجيكستاني مولان ترسون عبد الصمد، والأردني عبد الرحمن حسين الخطيب الذي مُنح رتبة عميد، بالإضافة إلى «ذو القرنين» زنور البصر عبد الحميد الملقب بعبدالله الداغستاني، وهو قائد «جيش المهاجرين والأنصار».

في ظل المخاوف المتزايدة من وصول شخصيات متشددة إلى مراكز متنفّذة في سوريا، تسبّبت هذه التعيينات بضجّة عالمية، وسط محاولات عديدة من قبل الشرع لتبرير هذا الإجراء بأنه عملية «حل للفصائل وبناء لجيش جديد»، وتعهدات بعدم تشكيل المتشددين أي تهديدات للجوار، وبشكل خاص إسرائيل. وعلى خلفية ذلك، تُطرح تساؤلات عديدة حول توجهات الجيش الناشئ، في ظل تسليم مناصب لشخصيات متهمة بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وبعضها مصنّف على «لوائح الإرهاب» الأميركية. ومن أبرز هذه التعيينات، جاء تسليم محمد جاسم، المعروف بـ«أبو عمشة»، قائد فصيل «السلطان سليمان شاه»، قيادة «الفرقة 25» في المنطقة الوسطى بعد منحه رتبة عميد. وتلاحق العميد الجديد تهم تتعلق بارتكاب جرائم في عفرين ضد الأكراد، وفي الساحل السوري ضد الأقلية العلوية، وذلك خلال موجة المجازر التي ضربت الساحل في السادس من شهر آذار الماضي.

وإلى جانب «أبو عمشة»، تم تعيين قائد فرقة الحمزة، المعروفة بـ«الحمزات»، سيف الدين بولاد (سيف أبو بكر)، قائداً لـ«الفرقة 76»، على الرغم من إدراج اسمه وفصيله على لوائح العقوبات الأميركية بدعوى ارتكاب انتهاكات في عفرين، من بينها اختطاف مدنيين وابتزاز عائلاتهم. كذلك، تم تعيين فهيم عيسى، قائد «فرقة السلطان مراد»، نائباً لوزير الدفاع وقائداً للمنطقة الشمالية، علماً أن بولاد وعيسى يرتبطان بعلاقات وثيقة مع الاستخبارات التركية وشركة «صادات» الأمنية التركية، والتي تقوم بتصدير مرتزقة نحو بؤر توتر عديدة في العالم، بينها ليبيا وأذربيجان.

كما تمّ تعيين أسماء عديدة أخرى في مناصب قيادية في الجيش الناشئ، بينهم: دوغان سليمان، قائد «فرقة السلطان محمد الفاتح»، المتهم بارتكاب انتهاكات في عفرين، والذي تسلّم قيادة أحد الألوية ضمن «الفرقة 72»، التي تنشط في منطقتَي عفرين والباب، والقيادي في «فرقة السلطان مراد» عرابة إدريس (أبو غازي)، الذي تم تعيينه في منصب قيادي في «الفرقة 52»، وارتبط اسمه بعمليات تجنيد المرتزقة بشكل مباشر وإرسالهم إلى ليبيا والنيجر. وجاء آخر التعيينات المثيرة للجدل لقائد فصيل «أحرار الشرقية»، أحمد الهايس (أبو حاتم شقرا)، الذي تم منحه رتبة عميد، وبات قائداً لـ«الفرقة 86» التي تنشط في المنطقة الشرقية وتشمل محافظات دير الزور والرقة والحسكة، وهي المناطق التي تسيطر عليها «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) ضمن سلطة «الإدارة الذاتية». وخاض «أبو حاتم شقرا» على مدار سنوات معارك عديدة مع «قسد»، الأمر الذي يثير تساؤلات عديدة حول سبب تعيينه بالتزامن مع مساعي الشرع لضم القوات الكردية إلى صفوف جيشه الناشئ عبر اتفاقية قام بتوقيعها مع قائد «قسد»، مظلوم عبدي.

اعتبرت الإدارة الأميركية أن قرار السلطات تعيين الهايس في منصب رسمي «هو خطا جسيم لا تدعمه» (أ ف ب)

> آثار تعيين «أبو حاتم شقرا» في الجيش الناشئ بالتزامن مع مساعي ضم القوات الكردية إليه تساؤلات عديدة

إلى جانب ذلك، يعتبر «أبو حاتم شقرا» إحدى الشخصيات المدرجة على لوائح الإرهاب الأميركية، بسبب تورطه في جرائم خطف وقتل وتعذيب، بالإضافة إلى مصادرة ممتلكات مدنيين في مناطق عدة، أبرزها عفرين ورأس العين. ومن بين التهم الموجهة إليه، ضلوعه في قتل السياسية الكردية السورية هفرين خلف، الأمينة العامة لحزب «سوريا المستقبل»، ومرافقيها، أثناء عملية توغل فصائل المعارضة في رأس العين عام 2019.

وفي أول ردّة فعل أميركية على تعيين الهايس، قالت المتحدثة باسم الخارجية الأميركية تامي بروس، خلال مؤتمر صحافي، إن «قرار السلطات بتعيين هذا الشخص، الذي يمتلك سجلاً طويلاً من انتهاكات حقوق الإنسان وتقويض مهمة هزيمة تنظيم داعش، في منصب رسمي، هو خطأ جسيم لا تدعمه الولايات المتحدة». وتابعت أن «الوضع في سوريا تحت المراقبة الدائمة والعمل المستمر، ونتعامل مع كل تطور بجدية، سواء كان تراجعاً، وهو أمر لا ندعمه كما ذكرت، أو كان مؤشراً إلى تحرك في اتجاه نؤيده».

ويأتي هذا الجدل حول هيكلية الجيش الناشئ، في وقت يحاول فيه الرئيس الانتقالي توسيع قنوات التواصل مع الولايات المتحدة، وتقديم مغريات اقتصادية لترامب. غير أنه يصعب الحسم في نجاح الأمر، في ظل تمسّك الشرع بسياسته حول تشكيل الجيش، وتبنّيه للمقاتلين الأجانب، واستمرار حالة الفوضى الأمنية، وعمليات القتل والخطف على خلفية طائفية.

(الأخبار)

أميركا

ميزانية «اليقظة» الترامبية: فَلنربط الأحزمة... ونتفرّغ للصين

خضر خروبي

لم يعُد خافياً حجم التغيير الذي يتطلع إليه الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، منذ عودته إلى البيت الأبيض، في واقع الولايات المتحدة، بكلّ ما يتركه ذلك من انعكاسات على النظام الدولي، خصوصاً على مستوى علاقات واشنطن مع خصومها الإستراتيجيين، وفي طليعتهم بكين. وأرخت تلك التطلعات بثقلها على ما جاء في مسودة ميزانية هي الأولى في ولاية ترامب الثانية، تتماشى مع جهود وزير الكفاءة الحكومية، إيلون ماسك، لتقليص حجم الجهاز الحكومي، ومع تعهدات الرئيس برفع الإنفاق العسكري إلى مستويات تقارب التريليون دولار؛ كونها تضمّنت زيادة كبيرة في قطاعَي الدفاع والأمن الداخلي، فضلاً عن اقتطاعات كبيرة في مجالات حكومية أخرى.

تخفيض نفقات اجتماعية لتحسين ميزانية الدفاع

في انتظار تصويت الكونغرس، وما قد يقترحه من تعديلات على مسودة الموازنة للسنة المالية 2026، والتي ستبدأ في الأول من تشرين الأول المقبل، أكد مدير مكتب الإدارة والميزانية في البيت الأبيض، راسل فوت، الأسبوع الماضي، أن الميزانية المقترحة سترفع الإنفاق الدفاعي والأمن الداخلي بنسبة 13 في المئة (بقيمة 113 مليار دولار)، و65 في المئة (بقيمة 43,8 مليار دولار) على التوالي، مقارنة بالمستويات المقررة للعام الجاري، معلناً عزمه خفض ما يُعرف بـ«الإنفاق التقديري غير الدفاعي»، والذي يستثني نفقات وزارة الدفاع وبعض البرامج الإلزامية غير العسكرية كتلك المتعلقة بالضمان الاجتماعي والرعاية الصحية، بنسبة 23 في المئة (بقيمة 163 مليار دولار)، وهو أدنى مستوى منذ 2017.

كما أكد فوت، في بيان خاطب به الكونغرس الذي يسيطر عليه الجمهوريون، أن مقترح الميزانية «سيؤمّن أخيراً حدودنا بالكامل»، في إشارة إلى إضافة مخصصات بعشرات المليارات لتنفيذ حملة ترامب للترحيل الجماعي، وبناء الجدار الحدودي مع المكسيك، مضيفاً «أننا نحتاج في هذه المرحلة الحرجة إلى ميزانية تاريخية، تنهي تمويلاً يؤدي إلى تراجعنا». ودافع بأن الميزانية المقترحة «تضع الأميركيين في المقام الأول، وتقدّم دعماً لم يسبق له مثيل لجيشنا وأمننا الداخلي»، متابعاً أنها «ستزيل الفوضى التي ورثها الرئيس ترامب عن الإدارة السابقة وتعزّز (ضبط) الحدود والدفاعات الأخرى لحماية البلاد من غزو أجنبي».

المقال كاملاً على الموقع

اليمن «السعيد» بأمجاده!

سعد الله مزرعاني *

في التاريخ أن اليمن كان «سعيداً»، أو «الأرض العربية السعيدة»، كما وصفه العالم اليوناني بطليموس. يعود ذلك إلى أمرين: الأول، حضارة عظيمة جعلته منبع ابتكار وإبداع في حقول شتى. الثاني، الخصب، وإنجازات معتبرة في مجال الري والزراعة عبر السدود وأشهرها في التاريخ «سد مأرب» الذي استتبع انهيارُه تحولات وهجرات فاضت عرباً عاربة تشكّلت منها معظم القبائل العربية. في إقليم «سبأ» اليمني كانت الملكة الحكيمة «بلقيس» التي حمل إليها هدهد النبي سليمان رسالة إيمان وهداية، فاستجابت وقومها للدين الحنيف. في التراث الديني أيضاً، أن «عدْن» مقر الـ«جنان» أو الجنّات التي بُشّرَ المؤمنون بنظيرتها بعد «النشور»، حيث «يكون حساب ولا عمل»، يتطابق اسمها، على اختلاف بسيط في اللفظ، مع مدينة عدن في جنوب اليمن على ساحل خليجها في «بحر العرب» المقفل، حتى وقف الإجرام وحرب الإبادة، في وجه العدو والمتعاملين معه.

اليمن المعاصر الذي احتفظ شعبه بخصال الشجاعة والمروءة والكرامة، ليس على هذه الصورة «السعيدة» التاريخية بشكل عام. جملة أحداث: منذ استعمار جنوبه، وبعد تحريره من الاستعمار البريطاني، إلى خيبات الانقسام والانفصال، إلى انهيار التجربة الاشتراكية، الأولى والوحيدة عربياً في جنوبه على النمط السوفياتي، زادت في عدم استقراره.

منعت «أنصار الله» مصادرة انتفاضة الحرية الشبابية الشعبية اليمنية لعام 2011، من قبل واشنطن، كما حصل في معظم بلدان «الربيع العربي». أثار ذلك قلقاً غير مشروع، لدى سلطات المملكة السعودية التي سبق وتدخّلت، بالقوة، لقمع انتفاضة أكثرية الشعب البحريني السلمية، عبر «قوات درع الجزيرة» في منتصف آذار عام 2011. تكرار التجربة في اليمن من قبل الجارة الكبرى وحلفائها، أدى إلى خسائر كبيرة وفاقم في الإفقار الذي بلغ حد الجوع الذي ضرب شريحة كبيرة جداً من السكّان... لكن نظام «أنصار الله» في صنعاء صمد في وجه خصوم الداخل، وألحق بالمعتدي السعودي وحلفائه وداعميه الأميركيين، هزيمة كبيرة، ما أدى إلى انسحاب الوحدات العسكرية الغازية لتدارك خسائر أكبر وهزيمة أفدح.

أشرت نتائج الحرب على صنعاء إلى تبلور حالة، أو تجربة، لافتة فيها: الجمع ما بين الثورة الشعبية والدولة، الميليشيا الحزبية والجيش النظامي، بالاستناد إلى عقيدة دينية تعمّق بُعدُها التحرري عبر التحالف مع قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمقاومة الإسلامية اللبنانية. تأكّد ذلك في الرد السريع والمدهش من قبل صنعاء على الحرب الصهيونية الأطلسية البربرية والهمجية على عملية «طوفان الأقصى» في 7 أكتوبر عام 2023.

بدأت مفاجآت اليمن، منذ اللحظات الأولى، حين أعلنت انخراطها في حرب «الإسناد» عبر فرض حظر على السفن الإسرائيلية وتلك المتوجهة إلى موانئ العدو. وهي، كما كان متوقعاً، وجدت واشنطن في مواجهتها دعماً للعدو وتأكيداً للدور المهيمن لواشنطن في كل الممرات ذات الطابع الإستراتيجي في حركة التجارة العالمية. لم يعبأ اليمنيون بالتهديدات الأميركية، واصلوا الحصار، ثم تصدّوا للهجوم الأميركي والبريطاني بشجاعة وتصميم وكفاءة، مؤكدين استعدادهم للمضي قدماً مهما كان الثمن. صنعاء بعيدة ولم تكن في الماضي لا جبهة مواجهة ولا جبهة مساندة. كانت المقارنة بين موقف نظامها ونظام الرئيس بشار الأسد تشير إلى حجم الجرأة والإقدام والشعور بالمسؤولية العروبية والقومية التحررية مهما غلت التضحيات. المراحل اللاحقة كانت أكثر دلالة وأكثر خطورة حين استمرت صنعاء في الإسناد رغم وقف إطلاق النار الملغوم بالخداع الأميركي والغدر الإسرائيلي على الجبهة اللبنانية. في السياق توقف أيضاً التوتر وتبادل التهديدات والغارات بين طهران وتل أبيب. رغم ذلك أيضاً واصل اليمنيون مسارهم عبر عملية مثلثة: استمرار فرض الحصار على موانئ العدو في البحرين العربي والأحمر، التصدي للعدوان الأميركي الكبير ثم البريطاني الهادف إلى وقف الحصار، تطوير استهداف العدو مع تصعيده حرب الإبادة والقتل والتهجير ضد الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية المحتلة، وتوسيع الحصار إلى الجو، والنجاح الكامل رغم عمليات القصف الأميركية الشاملة، في تعطيل مطار «بن غوريون» وتخطي شبكة الدفاع الإسرائيلية الأميركية كلها! لقد تواصل الهجوم اليمني بالمسيرات والصواريخ البلاستيكية الـ«فرط صوتية»، كما حدث في الأيام الأخيرة، ما أصاب ملايين المستوطنين الإسرائيليين بالذعر والهلع بشكل عام وشبه يومي.

ما حصل أن صنعاء انتقلت، أخيراً، بقراراتها الجريئة والشجاعة، ونجاحاتها المدهشة، من «حرب الإسناد» إلى الحرب الشاملة والمباشرة. الأكثر إثارة، أن ذلك قد ترك إرباكاً لا يخفى على مواقف الطرفين الأميركي والإسرائيلي وعلى العلاقة بينهما. أمِلت تل أبيب أن تورط واشنطن في حرب شاملة ضد صنعاء وطهران أساساً. أمّا واشنطن، فقد كان لها رأي آخر. خسائرها الفادحة المتصاعدة فرضت على الرئيس ترامب تراجعاً مبكراً فاجأ تل أبيب وخيّب رهاناتها. لقد صنعت صنعاء معجزة حقيقية!

ميزة النهج اليمني، في هذه المرحلة، هي بتفرده، ليس فقط على نطاق المنطقة العربية والإسلامية الصامتة بسبب تواطؤ وخيانة الكثير من حكامها، بل حتى على مستوى العالم بأسره الذي يراقب بتواطؤ أو بصمت أو بعجز، الإجرام الفاشي الصهيوني الأطلسي الذي يدمر، مع عمران غزة وأطفالها ومدنييها، كل القيم الإنسانية والحضارية على مرأى ومسمع من كل دول العالم ومؤسساته الأممية والقارية والمحلية.

ربما ينبغي القول، في امتداد ذلك، إن صنعاء تمثّل، في هذه المرحلة، ضمير البشرية الذي لم يمت واستمر حياً وحاضراً، وتنقذ بعض شرفها المهدور في حرب الإبادة في غزة التي تضحي، كما لم يفعل إلا قلائل في التاريخ، من أجل العدالة والحرّية والسعادة!

* كاتب وسياسي لبناني

مراجعة نقديّة لتجربة حزب الله السياسيّة والعسكريّة [3]

أسعد أبو خليل *

حزب الجمهور أم حزب النُّخبة؟ (2)

لا يزال الحديثُ هنا عن إمكانيّة تصنيف نوع حزب الله في الأحزاب السياسيّة وتغيّر طبيعته ودَوره عبْر السنوات والعقود. الحزبُ الذي بدأ سرّياً ومُغلقاً، انفتحَ على المحيط اللّبناني وأصبح حزباً جماهيريّاً عريضاً، من أكبر الأحزاب العربيّة -ربّما في التاريخ المعاصر- (هو أكبر من الحزب الشيوعي السوداني في عزّه، أمّا حِزب البعث، فالمقارنة غير جائزة لأنّه حزب السلطة والعضوية شكليّة وتكون ضروريّة بهدف تسيير الأعمال أو الارتقاء في الوظائف والصفوف). كتبتُ مقالة عن حزب الله في مجلّة «ميدل إيسترن ستاديز» في 1991 بعنوان: «أيديولوجية وممارسة حزب الله: أسلمة المبادئ اللّبنانيّة التنظيميّة». وكانت وجهة نظري أنّ الحزب (في مرحلته الأولى) قلّدَ التنظيم اللّينيني وهو ملائم جداً لحركة مقاومة وللحفاظ على السرّية المُطلَقة. لم يختلف تنظيم الحزب في الثمانينيّات وأوائل التسعينيّات عن التنظيمات الشيوعيّة من حيث تركيب الخلايا وتراتب الهيئات القياديّة، وإنْ بمسمّيات مختلفة (اللّجنة المركزية:

> خيارات الحزب صعبة: هل يستمرّ في محاولة التوفيق بين هيكليّة حزب الكادر وهيكلية أوسع للحزب الجماهيري؟ أم يعود إلى الجذور حزباً سرّياً مُغلقاً ينصرف عن مشاريع السياسة الداخلية والنفايات والطاقة؟

هل هي «مجلس الشورى»؟ المكتب السياسي: هل هو «المجلس السياسي»؟). لا، هو كان أبرع في الحفاظ على السرّية من كلّ الأحزاب الشيوعيّة التي سبقت (أوراق فريد شهاب تكشف أنّ عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللّبناني كان يكتب تقارير للمخابرات اللّبنانيّة، كما كان وليد قدّورة في اللّجنة المركزيّة للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين يكتب تقارير للمكتب الثاني- ولغيره أيضاً-). ولا شكّ أنّ التنظيم الأوّلي خدم الحزب لأنّه استطاع أن يقوم بعمله المقاوم من دون اختراقات من الأعداء الكُثُر. وكان الحزب في عهد أمين الجميّل يواجه مخابرات أميركا وإسرائيل والسعوديّة (التي شاركت في تمويل تفجير بئر العبد) والمخابرات اللّبنانية التي في عهد سيمون قسّيس استمرّت في عملها المرادف لعمل الموساد في لبنان. فعالية الحزب في المرحلة الأولى تؤكّد صوابية الخيار الحزبي التنظيمي الأول.

عام 1992 وحلول الانتخابات النيابيّة كان مفصليّاً؛ لأنّه كان على الحزب أن يقرّر إذا ما كان سيلتزم بقوانين النظام السياسي وتقاليده، والذي كان ينبذه ويهجوه في نشرة «العهد» بصورة دوريّة، أم إنّه سيبقى تحت الأرض. كان الحزب يُطلق أبشع النعوت والصفات على نظام عدّه طائفيّاً (لكنّ نقدَ الحزب لطائفيّة النظام كان من منظور طائفي مضادّ وليس من منظور عَلماني معارض للطائفيّات). والقرار بالمشاركة الانتخابيّة كان شبيهاً بقرار حركة «حماس» عندما قرّرت خوض الانتخابات بناء على مترتّبات أوسلو. نستطيع اليوم أن نجري مُراجعة لصوابية القرار (لـ«حماس»)، لأنّ لا حركة «فتح» ولا الإدارة الأميركيّة قبلتا بنتائج الانتخابات الفلسطينيّة وكانتا تعدّ بالاشتراك مع محمد دحلان و«فتح» انقلاباً ضدّ «حماس» في غزّة، فقط لأنّها فازت بالانتخابات، على عكس رغبة إدارة بوش وتوقّعها. هنا استبقت «حماس» الانقلاب ضدّها بانقلاب وقائي ضدّ «فتح» ورعاتها في تل أبيب وواشنطن (لم يكتب عن الانقلاب الفتحاوي الفاشل إلّا ديفيد روز في مجلّة «فانيتي فير» في نيسان 2008 بعنوان «صدمة غزّة»).

في عام 1992، كان الحزب خارجاً من صراع داخل الطائفة الشيعيّة مع «أمل»، كما كان يواجه توجّساً وعداءً من النظام السوري ومن معظم حلفاء النظام السوري في لبنان. رفيق الحريري وإعلامه (كما اليمين الموالي للخليج في إعلامهم) لم يتوقّف عن التآمر ضدّ الحزب منذ البدايات. لولا وقوف إميل لحّود بوجه خدّام وغازي كنعان كانت الدولة اللّبنانيّة في التسعينيّات في أول عهد الهراوي مستعدّة للقضاء على حزب الله عسكريّاً (طبعاً كان مشكوكاً فيه أن تنجح الدولة في القضاء على الحزب الذي تمرّس في قتال إسرائيل وقوّات حلف الأطلسي منذ الثمانينيات).

ومرحلة الانتخابات تزامنت مع مرحلة زعامة حسن نصرالله الذي نجح أيّما نجاح في إخراج الحزب من قوقعته وجعله حزباً يلقى التأييد في كلّ العالم العربي. غيّرَ نصرالله الكثير من المواقف العقائديّة ومن الممارسات التي شابت مرحلة صبحي الطفيلي (الذي أصبح من فريق التغيير و«الثورة» في لبنان). نصرالله عدّلَ في التعبير عن عقيدة الحزب وقبلَ بالكيانية اللّبنانيّة (وردّد مرّة شعار بشير الجميّل عن مساحة لبنان، سألتُه مرّة عن ذلك وذكّرته أنّ الشعار أطلقَ لتبنّي النتائج المُتوخّاة من الاجتياح الإسرائيلي قبل حدوثه). وفي الموقف من الصهيونيّة، أوضح الحزب في وثيقته السياسيّة الأخيرة في 2009 أنّ عداءه موجّه ضدّ الصهيونيّة وليس ضدّ اليهود واليهوديّة، وهذا الموقف جديد على حزب إسلامي. شعبية الحزب زادت ولكنّ حجم أعدائه زاد أيضاً، واغتيال الحريري سمّم علاقة الحزب مع بيئته اللّبنانيّة والعربيّة. حرب تمّوز أعادت له وهجه، ولكنْ ليس لمدة طويلة. الكثير من اللّبنانيّين (بتأثير من مطبخ أميركا وإسرائيل والخليج) لامَ الحزب على كلّ الاغتيالات في لبنان، ولامَه حتى على تفجير المرفأ (حتى الأميركيّين الذين يرصدون أيّ خطأ من الحزب كي يشنّوا حملة ضدّه امتنعوا عن اتّهام الحزب بتفجير المرفأ وديفيد هيل برّأه منه في كتابه الأخير).

ليس من الواضح أنّ الحزب الذي يخوض، على الأرجح، مراجعة نقديّة ذاتيّة غير علنيّة، سيعيدُ النظر بسياساته نحو المشاركة في النظام اللّبناني. وكبُرَ عبء الحزب في داخل النظام اللّبناني لأنه تورّطَ، أو ارتضى أن يتورّط، عميقاً في حماية النظام اللّبناني ورعايته. لم يخطئ المحتجّون في 2019 عندما رأوا في دَور الحزب في الأزمة رعاية مباشرة ودفاعاً قويّاً عن النظام اللّبناني الفاسد وعن النظام المصرفي الملحق به. أصبح الحزب عرّاب رئيس الجمهوريّة والحكومة في آن. كان الحزب داخليّاً يتذرّع أنّه ما في اليد حيلة وأنّ هذا هو لبنان وأنّه ملتزم أوّلاً وأخيراً بالتحالف مع حركة أمل. لكنّ الحزب بات حارساً للنظام الذي كان يذمّه وينفي عنه شرعيّته.

الحزب أصبح حزباً جماهيريّاً وأصبح، كما يقول بشير سعادة، حزباً لبنانيّاً (وفي الصفة مديح ونقد في آن). هو حزب لبناني بمعنى أنّ قراراته عن لبنان كانت نابعة منه هو، لا من إيران ولا من سوريا (ونتنياهو أكّد ذلك عندما أعلن أنّ إسرائيل اكتشفت أنّ نصرالله هو زعيم المحور برمّته لا تابعاً لإيران). الحزب كان يخضع للقرار السوري قبل اغتيال الحريري، ولكنّه تحرّرَ كليّاً من هذه السطوة بعد 2005 وأصبح في القرار اللّبناني (وفي بعض السوري وحتى الإيراني) هو صانع القرار في الصراع مع إسرائيل. قبل 2005، لم تكن مواقف الحزب متطابقة تماماً مع مواقف النظام السوري. كان هو يعارض رفيق الحريري فيما كان الثلاثي السوري (خدام-كنعان-شهابي) الذي يحكم لبنان يتلقّى الرشاوى المنتظمة من رفيق الحريري. هو دعمَ لحّود فيما كان الحريري هو المُفضّل عند حكّام سوريا. ولم يفترق النظام السوري مع الحريري إلّا على قرار التمديد لإميل لحّود الذي عارضه الثلاثي المُموّل بسخاء من الحريري. واللّبننة تعني أيضاً تناقص المبدئيّة لأنّ ممارسة السياسة في لبنان تتطلّب نبْذ المبدئيّة. تصبح مكرهاً على الجلوس إلى طاولة واحدة مع أمثال أمين الجميّل وسمير جعجع (سألتُ نصرالله مرّة عن الحالة النفسيّة في ذلك فأجابني ببيت المتنبّي: «من نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بدٌّ»).

فرض الانخراط السياسي تغييراً في طبيعة دوره الداخلي وأخرج إلى العلن فصلاً بين العمل المقاوم والعمل السياسي النيابي والبلدي. تعلّم الحزب المساومة والمقايضة والمفاوضات والتنازلات. وهي في صلب عمل السياسة ولكنّها تتناقض مع العمل العسكري أو حتى العقائدي الذي انطلق الحزب منه. عرّضَ الحزب نفسه للمساءلة فيما كان يقوم بأعمال عسكريّة غيّرت من تاريخ المنطقة (ومن دون محاسبة أو مراجعة). حُكمُ أمين الجميّل حرّمَ المقاومة وطارد المقاومين وسلّمهم إلى جيش الاحتلال الإسرائيلي. ينسى البعض أنّ حكم الجميّل باشر بتنفيذ بعض بنود اتّفاقيّة 17 أيّار قبل توقيعها (كيف ننسى أنّ غسان تويني كان «المنسّق العام» لاتفاقيّة 17 أيار، التي لا يزال إيلي سالم في كتابه الجديد «الفرص الضائعة» يدافع عنه -ولي عودة مفصّلة إليه-).

بدا الحزب فريداً في ذكوريّته في المجلس. كلّ الأحزاب ألِفت وجود النساء في الكتل النيابية إلّا الحزب. حركة «أمل» وزّرت نساء. سألتُ مرّة نصرالله عن سبب خلوّ قوائم الحزب من نساء. أجابني أنّ العمل النيابي يتطلّب تعاطياً مباشراً مع الناخبين، وأنّ ذلك أصعب على النساء. مع أنّ وجود النساء يوسّع نطاق خدمات الحزب وتلبيتهم لمطالب الناخبين والناخبات. نصرالله قال إنّ ذلك لا يمنع الناس أبداً من ممارسة العمل السياسي في أُطر الحزب المختلفة (مع أنّه لم يكن هناك وليس هناك على علمي من نساء في المجالس القيادية للحزب). تضاربت متطلّبات العمل العسكري مع الوجود السياسي للحزب. وتفاقم ذلك بعد دخول الحزب في الحكومات. الحزب لم يعرقل الحريريّة. كان فريق لحّود أشدّ معارضة للخطط الاقتصاديّة للحريري من الحزب وحتى من سليم الحصّ في حينه. الحزب يذكّرُ أنّه تحفّظ على بيانات الحريري الوزاريّة ولكنّ تمثيله في الحكومات بعد 2005 حرمه من سمعة التعفّف، وكلّفه ثمن المشاركة من مصداقيّته ومشروعيّته كحركة مقاومة. التناقض لا يزال ظاهراً. الحزب اليوم يشارك عبر وزراء لم يخترهم هو في الحكم (فضلو خوري اختارهم له) فيما يصول وزراء القوّات على المنابر ويجاهرون بتعاطفهم مع الموقف الإسرائيلي.

خيارات الحزب صعبة: هل يستمرّ في محاولة التوفيق بين هيكليّة حزب الكادر وهيكلية أوسع للحزب الجماهيري؟ أم يعود إلى الجذور حزباً سرّياً مُغلقاً ينصرف عن مشاريع السياسة الداخلية والنفايات والطاقة؟ الخروقات التي أصابت الحزب تفترض انكفاء من قِبل الحزب عن العمل الجماهيري العلني مع أنّه لا دليل على ذلك بعد. على العكس، الحزب يتصرّف أنّ الأولويّة تقطيع المرحلة كي يعود كل شيء على ما كان، ويعود الحزب إلى نفوذه السابق. لكن المرحلة تغيّرت. لا عودة إلى ما كان. الضابط الأميركي في اللّجنة العسكرية لا يقلّ نفوذاً وسلطة عن غازي كنعان في زمانه. لم يستطع الحزب تقديم أداء مميّز في الحكم، وهذا عكْس أدائه العسكري حتى في الحرب الأخيرة. بقي الحزب يمنع إسرائيل من التقدّم فيما كان مُثخناً بالجراح وفيما فقَد أبرز قادته. في السياسة، تحوّل إلى فريق حُكم طائفي يصارع الخصوم في الحكم وفي خارجه.

التنظيم اليوم يواجه أخطر معضلة منذ التأسيس. يخضع لاتفاقيّة وقْف نار تراعاها الحكومة وبإشراف مباشر من أقرب حلفاء إسرائيل، كَحَكَم على التنفيذ. الرأي العام اللّبناني يبدو ميّالاً إلى النظام اللّبناني الجديد، فيما يخرق الإجماع الشيعي التراصّ خارج الطائفة. التحدّيات أمام الحزب هي الاختيار في صنف التطوّر الحزبي اللاحق: هل يكون سرّياً مغلقاً لينينياً أم جماهيرياً مفتوحاً؟ الخيار الثاني يعرّض الحزب لمزيد من الاختراقات ويعرقل عمليات إعادة البناء الجارية. الهَمّ الانتخابي والبلدي سيشجّع الحزب على الحفاظ على الصنفَين في البنية الحزبيّة. لكنّ المرحلة هذه لا تحتمل التقاط الأنفاس. والتقاط الأنفاس أمام الجماهير (والأعداء) ضارّ.

* كاتب عربي
«asadabukhalil@» حسابه على إكس

مأزق سياسة الاحتراب الأهلي

ورد كاسوحة *

ثمّة ما يتجاوز العودة عن الحداثة السياسية لدى السلطة الحالية في سوريا. فلو اقتصَرَ الأمر على أشكال محدّدة من الممارسات التي تنطوي على بعد أهلي أو ديني، وصولاً حتى إلى استعادة سياسات الأعيان والإقطاع القديم، لأمكن تجاوزهُ، ووضعه في خانة

> العنف في مواجهة الجماعات الأهلية، كما يَظْهر حالياً، ليس منفلِتاً أو مستخدَماً على نطاق ضيّق بواسطة أفراد، بل هو نتاج منهجية الاحتكام إلى السلاح بدل السياسة في مقاربة الملفّات التي يعجز النظام عن إيجاد حلٍّ لها

الممارسات النقيضة لـ«التحديث القسري»، الذي أتى به «البعث». لكن ما يتضح الآن، وبعد أشهرٍ خمسة على سقوط النظام السابق، أنّ ثمّة منهجية تضع سياسات الهويّة، ومن دون امتلاك أدواتها أو فهم فلسفتها حتى، في صُلب البنية السياسية للنظام الحالي.

غلبة البنى الأهلية النابذة للسياسة

استبعادُ الأحزاب كلّياً من الخريطة السياسية الجديدة، حتى تلك المعارِضة سابقاً منها، وتفضيل الوجاهات والأعيان والمرجعيات الدينية عليها، يوضح إلى أيّ حدّ تذهب السلطة الحالية في إخراج السياسة من منهجها لمصلحة الهويّة بمعناها الأوسع. أي تلك التي يمكن عبرها تبرير حصر الصراع السياسي، إذا صحّ وجوده أصلاً، بين أطراف لا تشبه بعضها فحسب، لجهة البعد الأهلي بمعناه الضيّق، بل أيضاً يحصل بينها تقاطعات وتخادُم، حتى حين تكون في حالة خصومة مُعلَنة. ذلك أنّ البنية التجزيئية للسلطة، التي تتغذّى على تذرير الحداثة السياسية السابقة وتفكيكها، تستدعي، ليس فحسب ما يشبهها، في البيئات الأهلية الأخرى، بل أيضاً ما ينقل حالة الاستقطاب الأهلي، من البعد السياسي الذي يكون فيه الصراع سلمياً وتقدّمياً ونابذاً للعنف، إلى نظيره العسكري، الذي يقوم على الاحتراب الدائم.

حتى الاحتراب نفسه - الذي عادةً ما يخضع لدى اعتماده كمنهج من جانب النظم الشمولية لضوابط محدّدة تستبعد المساس بالروابط الاجتماعية التي تقي المجتمع خطر التفكّك - يتحوّل هنا إلى أداة سياسية لاستهداف هذه الروابط بالتحديد. فالعنف في مواجهة الجماعات الأهلية، كما يَظْهر حالياً، ليس منفلِتاً أو مستخدَماً على نطاق ضيّق بواسطة أفراد، بل هو نتاج منهجية الاحتكام إلى السلاح بدل السياسة في مقاربة الملفّات التي يعجز النظام عن إيجاد حلٍّ لها، ضمن الفضاء الحداثي المدني، بحكم افتقاده كسلطة أمر واقع إلى أدواته.

دور الفضاء المدني في كبح العنف السياسي

وهو ما يفسّر، من ضمن أمور أخرى، شيوع الجريمة عوضاً من ضبطها، واللجوء إلى «القصاص الميداني» الذي لا يستثني المدنيين، أثناء معالجة «حالات الإفلات من العقاب»، هذا إذا صحّ في التصفيات الحاصلة تسمية القصاص أصلاً. ما يفعله الفضاء السياسي المدني، في المقابل، لو أُتيحت الفرصة لفاعليه من سياسيين وكُتّاب ومثقفين وحقوقيين وناشطين الفرصة، هو ليس فقط ضبط الصراع وعقلنته، إذ تُلجم نزعة العنف التي ينطوي عليها استخدام السلاح كيفما كان وفي مواجهة الجميع، بل أيضاً تزويده بأدوات القوّة الناعمة، المتقاطعة بشدّة مع الفضاء المدني السلمي، والمتداخلة مع الأشكال أو الأنماط السياسية، المعنيّة بدورها بنزع العنف من المجتمع نهائياً وعلى نحو كامل. حين يحصل ذلك بمقدارٍ معيّن، وعندما تصبح الفرصة متاحة بالتاليً لإدارة الخصومات بمنطق يعلو فيه التسييس، حتى للهويّات الجزئية العصيّة عليه عادةً، فهذا يعني غالباً كبح منطق الاحتراب الدائم والانتهاء إلى مآلٍ أفضل بكثير من الوضع الحالي. على اعتبار أنّ الوضع ينذِر، مع تصاعد وتيرة العنف الأهلي المسلّح واتضاح حجم الاشتباك التركي الإسرائيلي هنا، بتصدّعات أكبر وأكثر حدّة، على صعيد الجغرافيا الاجتماعية والسياسية للبلاد.

خاتمة

طبعاً، هذا لن يضعف الاستخدام الجيوسياسي للورقة السورية من جانب الأطراف المتدخّلة هنا، كون سوريا الآن ليست في موقع يسمح لها باستعادة أيّ دور إقليمي فاعل، فكيف بمواجهة من يحاول إضعافَها واستخدامَها كورقة للمساومة والصراع على النفوذ والدور في الإقليم والعالم. ومع ذلك، يمكن لتشريع الفضاء المدني، إذا ما حصَلَ توافقٌ أو إجماع على الاحتكام إليه داخلياً، أن يخفّف الاحتقان في الداخل، ويعطي الجميع مجالاً لالتقاط الأنفاس، بما يحقن الدماء، وينقذ حتى قاعدة السلطة الاجتماعية من تبعات خيار «الحسم العسكري». أي لجهة الفوضى الشاملة التي يقود إليها منطق الاحتراب انطلاقاً من الحلقة المفرغة لتناظُر المظلوميات السابقة واللاحقة أو تضادّها.

* كاتب سوري

فائض القوة عند إسرائيل

محمد سيد رصاص *

تعيش إسرائيل أقوى حالاتها منذ قيامها في عام 1948. فالدول العربية الرئيسية التي قادت المواجهة معها إمّا مغيّبة ومهمّشة الدور (مصر بعد اتفاقيات كامب دافيد) أو في حالة أقرب للتحطّم (العراق وسوريا). والفلسطينيون في أضعف حالاتهم منذ عام 1948. وإيران أصبحت أضعف في عالم ما بعد 7 أكتوبر 2023. وكذلك حلفاؤها في لبنان وغزة واليمن والعراق. وتركيا لا يمكن أن تخرج من القفص الأطلسي في احتكاكاتها السورية مع إسرائيل. ومن حيث القوة العسكرية تملك الدولة العبرية احتكاراً انفرادياً للسلاح النووي في منطقة الشرق الأوسط، وتملك أقوى جيش في هذه المنطقة، وهي من ضمن الدول العشر الأكثر تقدّماً في التكنولوجيا بالعالم.

ولكن إسرائيل لم تستطع طوال عمرها، الذي سيبلغ السابعة والسبعين في 14 أيار الحالي، أن تترجم هذه القوة إلى أن تكون واقعاً مقبولاً في مجتمعات المنطقة. وفي الشهر الماضي، أقرّ رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بأن «السلام كان بارداً مع البلدان العربية التي وقّعت اتفاقيات مع إسرائيل، لأنه لم يمتد من الحكومات للشعوب». وكانت المقبولية هي هدف إسرائيل من الحروب مع العرب ومن الاتفاقيات مع الحكومات. ويبدو أن كلام نتنياهو يوحي بالعجز عن الوصول لذلك الهدف، لذلك هو يسعى إلى حل آخر هو ترحيل الفلسطينيين من قطاع غزة ثم الضفة الغربية، ولكنه يصطدم بأن مفاعيل الاتفاقيات مع مصر والأردن تمنع ذلك، حيث سيقود ذلك الترحيل للفلسطينيين إلى سيناء والضفة الشرقية إلى انتهاء كل ما تم بين مناحيم بيغن وأنور السادات عامي 1978 و1979 وبين إسحق رابين والملك حسين عام 1994، وعلى الأرجح أن نتنياهو لمّا عارض أرئيل شارون عام 2005 حيال خطة الانسحاب الأحادي من قطاع غزة كان يفكر في خطة الترحيل وليس مدركاً لما كان يريده شارون من التخفف من عبء غزة للتركيز على قضم الضفة الغربية، أو هو غير موافق على ذلك. وشارون، الذي كان أول من طرح، لمّا فكرت غولدا مائير في التدخل العسكري بالأردن بعد دخول القوات السورية أثناء المجابهة بين القوات الأردنية وقوات منظمة التحرير الفلسطينية في أيلول 1970، فكرة «دولة فلسطينية في شرق الأردن»؛ على الأرجح كان يفكر في ترحيل فلسطينيي الضفة الغربية للأردن بعد ترك غزة، وربما كلاهما لم يصلا إلى ما وصل إليه الجنرال السابق رحبعام زئيفي، ثم مؤسس حزب «موليدت» بالثمانينيات، لمّا طرح خطة ترحيل الفلسطينيين من أراضي الـ67 مع إشارات إلى مصير مشابه لعرب الـ48.

على الأرجح أن ثلاثتهم يعون مأزق دولة إسرائيل حيث الضم والسيطرة الجغرافية على ما بين البحر والنهر ستقودان إلى التعادل الديموغرافي بين العرب واليهود، مع أرجحية مستقبلية بعدد السكان على حساب اليهود، وبالتالي ستفقد إسرائيل وضعيتها كـ«دولة يهودية»، مع مساواة مواطنيها، كما حدد إعلان تأسيسها، أو «national home» للشعب اليهودي كما حدد وعد بلفور. والمؤشرات تدل على أن نتنياهو يتجه تدريجياً نحو حل زئيفي، على الأقل في غزة، متشجعاً بما طرحه ترامب أخيراً. وإذا نجح في غزة، سيثنّي بالضفة. وما فعله في مخيم جنين أخيراً كان أقرب إلى البروفة، ولكنه عندما قدّم اقتراحاً عام 2018 عن «قانون الدولة القومية لليهود في إسرائيل»، وأقرّه الكنيست، كان يوحي بأنه لا يمانع في تحويل إسرائيل إلى دولة تمييز عنصري - أبارتهيد ضد حاملي جنسيتها من العرب، مسلمين ومسيحيين ودروز وهم خُمس السكّان، مع اتّباعه سُنة دولة جنوب أفريقيا في الضفة والقطاع والقدس الشرقية لمّا جمعت التمييز العنصري مع الوحشية في منطقة سيطرتها خارج الحدود في ناميبيا.

هنا، كان شمعون بيريز، وهو أحد أذكى من مرّ على السياسة الإسرائيلية، قد أدرك وعبر كتابه «الشرق الأوسط الجديد» بالتسعينيات، بعد قليل من اتفاقية أوسلو عام 1993، أن تجربة جنوب أفريقيا ليست حلاً إسرائيلياً، ووقتها كان رئيس جنوب أفريقيا فريدريك دي كليرك قد وقّع اتفاق إنهاء نظام التمييز العنصري مع نيلسون مانديلا زعيم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، ووقتها أيضاً كان عالياً صخب تفكّك يوغوسلافيا التي انبنت على سيطرة الصرب على قوميات متعددة من كروات وبوشناق وألبان وغيرهم. في كتابه ذاك، يقول بيريس: «ليس ثمة معنى في بحث الجغرافيا وأنت تهمل الديموغرافيا» و«الذين يتحدّثون عن إلحاق الأراضي إنما يقصدون في الواقع ضم شعبها بكل ما يترتب على ذلك من عواقب ديموغرافية وسياسية بعيدة المدى على كامل المستقبل القومي لإسرائيل وهويتها بوصفها الدولة الوحيدة للأمة اليهودية» (51-52) و«الرغبة في حكم أمة أخرى والسيطرة عليها لم تعد ممكنة» (52) و«العرب لا يستطيعون هزم إسرائيل في أرض المعركة وإسرائيل لا تستطيع إملاء شروط السلام على العرب» (44).

ويمكن هنا تذكّر كيف اجتمع الفلسطينيون والعرب والإسرائيليون في الهجوم على الأكاديمي الفلسطيني سري نسيبة لما اقترح عام 1986 دولة موحدة بين النهر والبحر بعد أخذ فلسطينيي الضفة والقطاع والقدس الشرقية لوضعية مع مواطني دولة إسرائيل في المساواة وفقاً لمبدأ «مواطن واحد، صوت واحد».

أخيراً، اقترح زعيم «تكتل الصهيونية الدينية» بتسلئيل سموتريتش ترحيل سكان غزة بعد احتلال القطاع، وهو لا يخفي أنه يريد ذلك بالضفة، وأحياناً يلمح لحل زئيفي في ترحيل عرب الـ48، وأخيراً قدّم رؤيته لتقسيم سوريا ودول عدة في المنطقة. الأرجح أنه قرأ كتاب بيريز واستوعب جيداً معادلته: الضم يعني انتفاء يهودية دولة إسرائيل وطابعها القومي اليهودي وفقاً للأيديولوجية الصهيونية، لذلك يقترح الترحيل (الترانسفير)، وهو عبر وعيه لمعادلة بيريز الثانية، القوة العسكرية الإسرائيلية المتفوقة لا تستطيع إجبار العرب على السلام، يقوم بالدعوة إلى تقسيم المنطقة لتكون لإسرائيل السيادة على المنطقة، ووفقاً لمؤشرات زلزال عراق 2003، وما بعده، يبدو أن الدولة العميقة الأميركية لا تريد تقسيم المنطقة بل تريد السيطرة عليها كاملة من دون خرائط جديدة ولكن مع «شرق أوسط جديد».

في مقابلة مع مجلة «ناشيونال انترست» (25 حزيران 2013)، ينتقد المستشار السابق للأمن القومي الأميركي زبيغنيو بريجنسكي في زمن كارتر (1977-1981) نظرة اليمين الإسرائيلي الذي يرى مصلحة في جوار مضطرب وضعيف: «هذا كارثة على إسرائيل بالمدى البعيد، لأن هذا سيقود إلى إزاحة النفوذ الأميركي في المنطقة وترك إسرائيل لوحدها.. على المدى القصير هذا سيقوي قلعة إسرائيل ويجعلها أكثر قوة لأنها لن تجد أحداً في طريقها، ولكن على المدى البعيد هذا سيخلق منطقة لا يمكن ضبطها حتى من إسرائيل نووية ولكن ليس لديها أكثر من ستة ملايين من السكان. هذا حلم».

* كاتب سوري

قضية

توتّرات سياسية بين الهند وباكستان: الحلّ عبر «دبلوماسية الكريكيت»؟

تعرّضت العلاقات بين الهند وباكستان لانتكاسة كبيرة في أعقاب الهجوم الذي زلزل باهالغام في 22 أبريل/ نيسان، والذي أسفر عن مقتل 26 سائحاً بشكلٍ ماساوي، مع تصويب نيوديلهي أصابع الاتهام نحو إسلام أباد. ورغم نفي باكستان علاقتها بما حصل، أثر الحادث بشكلٍ خطير على العلاقات بين البلدين في جميع القطاعات، والرياضة ليست استثناءً.

حسين فحص

يُعتبر التنافس الهندي-الباكستاني في الرياضة، وخاصةً في الكريكيت، إحدى أكثر الفعاليات مشاهدةً في العالم. تنبع هذه الندية الشرسة من الصراعات السياسية المستمرة بين البلدين، والتي بدأت منذ تقسيم «الهند البريطانية» عام 1947، ما أدّى إلى تأسيس دولتي الهند وباكستان، وما تبع ذلك من حروب دموية ونزاع مستمر حول كشمير تحديداً.

ومنذ بدء ممارستهما الكريكيت عام 1952، تميّز الرياضيون الهنود والباكستانيون بإتقانهما اللعبة، مع اتصاف الفئة الأولى بالأسلوب الكلاسيكي، مقابل تألق باكستان بالرميات السريعة. وبفعل احترافيتهما العالية، عاد حضور الدولتين الدائم في المسابقات بمجدٍ متفرق على خزائنهما، باستثناء الفترات التي تجمّدت فيها اللعبة خلال حرب كارجيل عام 1999 وبعد هجمات مومباي عام 2008، وهو ما قد يتكرر على خلفية هجوم باهالغام الأخير.

في السابق، اعتُبرت الكريكيت وسيلةً لتحسين العلاقات بين البلدين، حتى في قمة التوترات السياسية. وبالفعل، مهّدت اللعبة الطريق أمام الهند وباكستان للسلام أكثر من مرة، ليتم وصف المباريات الحاصلة بينهما بـ«دبلوماسية الكريكيت». لكن ذلك لم يُنه الحساسية بشكلٍ كامل، ففي العام الماضي، أعلنت الهندُ أنها لن ترسل فريقها إلى باكستان للمشاركة في كأس الأبطال 2025 بسبب المخاوف الأمنية والتوتر السياسي، ونُقلت المباراة إلى دبي، علماً أن فريق الهند لم يزر باكستان منذ عام 2008.

على ضوء الصراعات التاريخية، بدا من المحتّم أن تحتل الكريكيت العناوين العريضة مجدداً في أعقاب اشتعال التوترات أخيراً بين البلدين بسبب هجوم باهالغام، مع ترجيح انتقال الأزمة من السياسة إلى الرياضة، لتطاول الفرق، وملايين المشجعين واقتصاد الكريكيت بأكمله.

مقاطعة الفرق واللاعبين

في البطولات، مع إشارة خبراء إلى أن هذا السيناريو سيعقّد الوضع بالنسبة إلى مجلسي الكريكيت الدولي والآسيوي (ACC).

كما أكّدت التقارير أن التوترات الحاصلة بين البلدين سوف تؤثّر على الفرق النسائية والفئات الرياضية في الكريكيت ومختلف الرياضات، منها الهوكي والكرة الطائرة (انسحبت الهند من بطولة آسيا الوسطى المقررة إقامتها في إسلام آباد في 28 مايو/ أيار).

كان لافتاً عدم ارتداد تبعات التوترات السياسية على الألعاب فحسب، إذ انسحبت إلى الرياضيين أنفسهم من خلال حظر العديد من حسابات «النجوم» الباكستانيين على مواقع التواصل الاجتماعي في الهند، بالإضافة إلى حسابات لاعبين سابقين معروفين وخبراء تحليل.

اعتُبرت الكريكيت وسيلةً لتحسين العلاقات بين الهند وباكستان حتى في قمة التوترات السياسية (أ ف ب)

وتظهر للمستخدمين في الهند الذين يحاولون الوصول إلى هذه الحسابات رسالة تُشير إلى أنها غير متاحة امتثالاً لطلبٍ قانوني.

مأزق مالي للرياضة الباكستانية؟

من المتوقّع أن يكون للمقاطعة الهندية لباكستان في الكريكيت تحديداً أثر مالي مدمّر على اقتصاد الكريكيت الباكستاني. وفقاً لاتحاد غرف التجارة والصناعة الهندية (FICCI)، حقّقت مباريات الهند وباكستان إيرادات تُقدّر بـ1,3 مليار دولار أميركي على مدار العقدين الماضيين، ما جعل من هذه المباريات عامل جذب كبير لشركات البث.

ويعتمد مجلس الكريكيت الباكستاني (PCB) بشكل كبير على تمويل المجلس الدولي للكريكيت (ICC)، مع الإشارة إلى أن المساهمات المالية الهندية تمثّل جزءاً كبيراً من أرباح مجلس الكريكيت الدولي في نموذج تقاسم الإيرادات للفترة 2024-2027. ووفقاً لرئيس مجلس الكريكيت الباكستاني السابق رامیز راجا، فإن «90% من إيرادات مجلس الكريكيت الدولي تأتي من الهند، وإذا قررت الهند سحب دعمها، فقد يؤدي ذلك إلى انهيار الكريكيت الباكستاني».

هي حلقة جديدة من مسلسل صراعات مستمر، بطاول الرياضة مراراً ويُحل غالباً من خلالها. هذا ما لفت إليه النجم السابق لمنتخب باكستان للكريكيت، شعيب أختر، بقوله: «كلّما كان على باكستان والهند التقارب، تحاولان تطبيق شيء واحد: «دبلوماسية الكريكيت». التواصل بين الناس شديد الأهمية، كيف سيحدث ذلك إذاً؟ فلنقم سلسلة مباريات». جاء هذا التصريح في وثائقي مكوّن من ثلاثة أجزاء يُعرض على «نتفليكس» تحت عنوان «المنافسة الأعظم: الهند ضد باكستان»، تنقل من خلاله المنصة الحماس القومي للتنافس بين الهند وباكستان في لعبة الكريكيت، مركزةً في عرضها على الفترة الممتدة بين عامي 1999 و2008 عندما كان الفريقان متقاربين فنياً ضمن حقبة سياسية حساسة.

في العديد من المشاهد، أظهرَ الوثائقي انتصاراً للتقارب الثقافي بين الفريقين والجماهير على التوترات الحاصلة ولو جزئياً، فهل يكرر التاريخ نفسه؟ أم يضع هجوم باهالغام مسماراً في نعش الدبلوماسية الرياضية؟

> **من المرجّح أن تؤثر الأزمة على الفرق والمشجعين واقتصاد الرياضة بأكمله**

الكرة اللبنانية

استقالة باسم مرمر من الصفاء... ماذا بعد؟

خسارة وحيدة كانت كفيلة بافتراق المدرّب باسم مرمر ونادي الصفاء. السقطة أمام الأنصار بهدفٍ وحيد في الجولة الخامسة من سداسية الأوائل في الدوري اللبناني لكرة القدم، دفعت مرمر إلى الاستقالةً من منصبه، مصرّاً على الإدارة لقبولها بحسب ما أعلن «العميد».

استقالةٌ ربما كانت متوقّعة، إذ كان من الصعب على مدرّب حقّق إنجازات عدة محلية وخارجية مع نادي العهد أن يقبل هذا الكمّ من الانتقادات التي طاولته وطالبت بإقالته.

هو خرج قبل أن يُحرج ربّما، وهي حالةٌ يقال إن أكثر من مدرّبٍ يعيشونها حالياً في البطولة وسط الحديث المتواصل منذ أسابيع عن خروج هذا المدرّب أو ذاك من منصبه، توازياً مع تفاوض أندية طليعية مع مدرّبين أجانب. فكانت أكثر الأسماء تداولاً تلك التي سبق أن مرّت بتجارب في لبنان، أمثال مدرّب العهد السابق السوري رأفت محمد، مدرّب شباب الساحل والنجمة السابق الصربي دراغان يوفانوفيتش،

وجاره المونتينغري الذي أشرف على الراسينغ في الموسم الماضي فلاديمير فويفيتش.

إذاً بعد محمد الدقة الذي ترك النجمة خرج مرمر من الصفاء، على وقع علامات استفهام حول المستوى الذي قدّمه الفريق تحت إشرافه، خصوصاً أن التعاقدات التي قام بها الفريق الأصفر كانت من العيار الثقيل محلياً، وكانت حاضرة أيضاً في سوق الانتقالات الصيفية والشتوية على حدٍّ سواء، بهدف تحسين المستوى الفني العام، لكن بعد المباراتين أمام العهد (0-0) والأنصار (0-1) توالياً «انكسرت الجرّة»، وبات التغيير أمراً واقعاً. إن كان بالنسبة إلى المدرّب الذي عاش ضغوطاً بلا شك أو بالنسبة إلى الفريق الذي يريد ترجمة استثماره إلى إنجاز الفوز بلقب الدوري غير البعيد عنه في حال وجد أسلوباً يتناسب مع الإمكانات الفردية المميّزة للأكثرية الساحقة من لاعبيه.

بكل الأحوال، وفي هذه المرحلة من عمر الموسم، قد يكون الافتراق سيفاً ذا حدّين، ومسألة نجاح الخطوة التالية تتوقّف عند اختيار الاسم الصحيح لقيادة السفينة الصفاوية، وقد طُرحت سريعاً أسماء أجنبية، وتحديداً عربية على رأسها السوري طارق جنّان، الذي ورغم حصده خبرةً خارجية كلاعب حيث احترف مع نادَيي الجهراء وبرسبوليس الإيراني، فإن خبرته التدريبية بقيت داخل بلاده حيث عمل كمساعد للمدرب في نادي الجيش ومن ثم في المنتخب السوري، قبل أن يصبح المدير الفني للأول، ويتولّى أيضاً الإشراف على أندية محلية عدة مثل الطليعة، الكرامة، وآخرها تشرين.

(الأخبار)

كلمات متقاطعة 4806

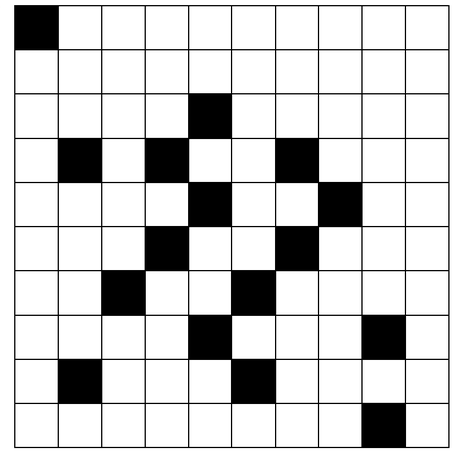

أفقيا

1- رجالة إيطالي – 2- رئيس لبناني راحل – 3- خيولي واحصنتي – عاصمة بنغلادش – 4- فجر الماء – إسم موصول – 5- أصل البناء – نوتة موسيقية – مجموعة من الفنانين الرجالة تقدم عروضها في خيمة كبيرة – 6- نجاح – مرتفع – مدينة مغربية – 7- جفاف العشب – ود – لعن وشتم – 8- إقليم في وسط السعودية – مغنّية وممثلة مصرية – 9- منظمة حلف شمال الأطلسي – احرف متشابهة – 10- جنرال فرنسي المندوب السامي لسوريا ولبنان

عمودياً

1- ممثل لبناني راحل – 2- أمير النحل – 3- بلدة لبنانية في قضاء بعلبك – جزيرة يونانية – 4- قارب الفعل ولم يفعل – أمكنة اللصوص – 5- جميلات – 6- سنوّر – لاصق النسب – للتفسير – 7- من أسماء الأسد – عاصمة أوروبية – 8- أرخبيل هندي – حرف ابجدي – 9- أسبوع بالأجنبية – ساقط في الإمتحان – 10- إتفاقية وتفاهم سرّي بين فرنسا وبريطانيا بمصادقة من الأمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بعد الحرب العالمية الأولى

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- جورج باتون – 2- مرجان – ترنج – 3- أمازون – كاو – 4- سونار – بزّ – 5- بنان – موضعي – 6- أنت – دوما – 7- شنّ – السادات – 8- حلف – لي – 9- كان – مير – 10- بيكو بلانكو

عمودياً

1- جمال باشا – 2- ورم – ن ن ن – كي – 3- رجاسات – حاك – 4- جازون – النوّ – 5- بنون – دلف – 6- ناموس – ملِ – 7- ت ت – رومانيا – 8- ورك – ضاد – رن – 9- تتابع – ال – 10- جوزيف تيتو

sudoku 4806

8		5					4	
4		7	5		6		8	1
	6			4				
							1	
	3				4	7		
1	2	4		8	9			3
		8	9	5			3	
3	7	2				5	6	
			6				2	

حلول الشبكة السابقة

4	3	8	1	7	9	6	5	2
2	5	9	3	4	6	8	1	7
1	6	7	8	5	2	9	3	4
5	8	1	2	9	4	3	7	6
3	9	6	5	8	7	4	2	1
7	2	4	6	1	3	5	8	9
9	1	3	4	2	8	7	6	5
8	4	5	7	6	1	2	9	3
6	7	2	9	3	5	1	4	8

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 103

كلمة السر من 6 حروف: مدينة ايرانية

اواجيق – ابسك – باروق – بابل – ترك – جرجان – جوبار – جلفا – جندق – دهدز – راين – زرند – سيدان – سرو – صاحب – طوب – غيان – فردوس – قيدار – قم – كوار – كرج – نغور

ق	ص	ا	ح	ب	ق	ر	ا	و
ا	و	ق	م	ي	ف	ر	د	و
ف	ب	ر	ج	ع	ز	ن	ا	ي
ل	ت	ا	ا	د	ق	ي	د	ا
ج	و	ر	ه	ب	ن	ا	د	ي
ا	ر	د	ك	ج	ن	د	ق	ن
ط	ا	ر	د	ر	ل	ا	ز	ا
و	ب	ا	ك	و	ي	ب	ر	ج
ب	و	ي	ر	غ	س	ا	ن	ر
ن	ج	ن	ج	ن	ك	ب	د	ج

حلول الشبكة السابقة: ملكارت

عملية حسابية 103

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

72	٪		X		=	36
٪	■	X	■	X	■	
	+		X		=	77
X	■	٪	■	–	■	
	X	3	X		=	63
=	■	=	■	=		
84		20		39		

حلول الشبكة السابقة

57	–	17	٪	4	=	10
+	■	X	■	X	■	
12	X	4	٪	8	=	6
٪	■	٪	■	–	■	
3	X	2	X	3	=	18
=	■	=	■	=		
23		34		29		

شبكة العنكبوت 103

إعداد نعوم مسعود

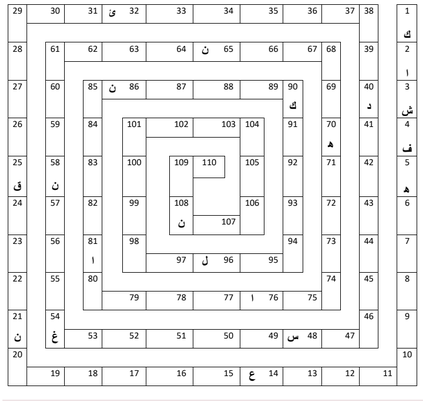

1 - 5 جاهزه بالحساب
4 - 17 ملك سعودي راحل حمل لقب « خادم الحرمين الشريفين »
17 – 26 اغنية لكاظم الساهر
25 – 30 من اعمق وديان لبنان
29 – 37 دولة افريقية عاصمتها ياموسوكرو
36 – 41 مفكرة لتسجيل الملاحظات بالاجنبية
40 – 48 راقصة لبنانية راحلة
47 – 58 عمل ادبي للشاعر والفيلسوف العباسي ابي العلاء المعري
57 – 62 انقطاع المطر
61 – 67 دولة اوروبية
66 – 73 اغنية لام كلثوم
72 – 76 مدينة في السودان
76 – 81 اسقف روما وراس الكنيسة الكاثوليكية
86 – 80 من الخضر
84 – 90 مجرة فرنسا حملت لقب « عذراء اورليان » اعدمت على يد الانكليز
90 – 97 امبراطور روماني
96 – 102 مدينة ايرانية
101 – 110 مذهب الدولة في انكلترا

حل شبكة العنكبوت السابقة

كورال – البحر الابيض المتوسط – طرابلس الغرب – رباع – اعزاز – ازيز – زين الدين زيدان – انفلونزا – زاجل – جلال الدين الرومي – ميشال سليمان – انساك ده كلام – اميل زولا – لاتفيا – يارا – راتب – بارود – دوري

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 4806

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رجل تنبؤات لبناني أثار الكثير من اللغط حول توقعاته السنوية. يلقبّ بنوستراداموس العرب

4+5+3+6+10 = مشروب ساخن ■ 7+2+1 = مقياس بحري ■ 8+9+11 = نسج الثوب

حل الشبكة الماضية: **توماس سارجنت**

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 10 أيار 2025 العدد 5490

بريد دمشق

الحريات الشخصيّة مستباحة في الشارع... والفرع!

مروة جردي

لم تعد الحريات الشخصية في سوريا شأناً خاصاً بأصحابها، بل صارت مساحات مستباحة يحق لأي جهة أمنية أو ممثلين لها «بعلمها أو من دون علمها» التدخل فيها وفرض وصايتها. إذ دائماً ما نادى السوريون بتأمين الحيّز العام، بات الحفاظ على الحيّز الخاص تحدياً يومياً، مع غياب المساءلة وتغوّل الأجهزة الأمنية.

«خاتم خطوبة» يكشف الهوّة بين القانون والممارسة

في 2 أيار (مايو) الماضي، أوقفت دورية أمنية في شارع خالد بن الوليد المزدحم في مدينة حمص الصحافي والناشط عبد الرحمن كحيل، برفقة خطيبته. وبعد طلب أوراق السيارة، سأل أحد العناصر عن علاقة السيدة المرافقة، وعندما أجاب بأنها خطيبته، طُلب منه إثبات رسمي. فأجاب: «لا أملك سوى خاتم الخطوبة»، لتبدأ سلسلة من الإهانات والتوقيف والضرب، وصولاً إلى اتهامه بـ«الاعتداء على الدورية». أثارت حادثة عبد الرحمن كحيل وخطيبته، الرأي العام بعد الكشف عن تعرضهما للإهانة والضرب من قبل الدورية، إذ تعرّضت خطيبته للتهديد بـ«التأديب» من قبل رئيس الدورية في حال لم تتحجب. وبينما اتهمه المحقق بـ«الانتماء إلى النظام السابق»، أُجبر كحيل على الاعتذار من العناصر الذين ضربوه.

هذه الحادثة ليست معزولة، مع أنّها تناقض المادة 18 من الإعلان الدستوري الذي وقّع عليه الرئيس السوري أحمد الشرع في 13 آذار (مارس) 2025، وتنصّ على «صون كرامة الإنسان ومنع التعذيب المادي والمعنوي، وباستثناء الجرم المشهود لا يجوز إيقاف شخص أو الاحتفاظ به أو تقييد حريته إلا بقرار قضائي». إنّها تعكس واقعاً تعسفياً تتكرس فيه السلطة الأمنية، وتغيب فيه مرجعيات قانونية تحمي الخصوصية الفردية.

«فشرت»... انتهاكات موثّقة

ورغم تدخّل مجلس محافظة حمص لاحقاً في محاولة لاحتواء القضية، إلا أنّ العجز بدا واضحاً مع «رفض عقد جلسة استماع حيادية خارج الفرع الأمني» وغياب أي إجراء فعلي مثبت تجاه العناصر المعتدين. حاول كحيل الصمت، لكن صدور بيان رسمي مشوّه للحقيقة دفعه إلى الحديث، رغم التهديدات ومحاولات الترهيب. وشارك عبر حسابه على فايسبوك جانبه من الرواية مرفقاً بصور وتقرير طبي بالإصابات الجسدية التي ألحقت به. أما الجراح النفسية فبقيت الأعمق، معتبراً أنّ ما حدث معه «ليس حالة فردية بل نتيجة صمت طويل»، داعياً إلى وضع حد لهذه الممارسات، ومحاسبة المتورطين.

في المقابل، تواصلنا عبر مديرية الإعلام في المحافظة مع الرائد مصطفى الأحمد مسؤول القسم الجنائي في «فرع الوعر» الذي جرى فيه التوقيف. وقد أوضح تفاصيل الواقعة التي استدعت تدخل دورية للأمن العام، مشيراً إلى أنّ «السيارة كانت مركونة بلا لوحات ونوافذها مغطاة، ما استدعى الشك، خصوصاً بعد حادثة سابقة لاختطاف امرأة في حمص». وبحسب الأحمد، فإن الكحيل «مانع التعاون» وقال «فشرت» لرئيس الدورية، وهو ما استوجب توقيفه «أصولاً» وتحويله إلى القسم الجنائي، قبل أن يُفرج عنه بعد مصالحة وتوقيع «تصريح» من دون تنظيم ضبط رسمي بوجود محمد جابر قريب الفتاة ككفيل. وأضاف أنّ «أي تجاوزات من العناصر المنتسبين حديثاً يتم احتواؤها إما بالعقوبات أو بالفصل»، وأن أي مواطن يمكنه تقديم شكوى للنائب العام في حال شعر بالظلم.

ورغم نفي البيان الأمني وجود أي اعتداء مقصود بغرض التعذيب أو الإيذاء، إلا أن رواية الكحيل، وما ورد في تقاريره الطبية والتفاصيل الدقيقة التي قدمها، تشير إلى وجود فجوة كبيرة وتضارب بين الخطاب الرسمي وما يحدث فعلياً، بما يُظهر إشكالية أعمق تتعلق بغياب منظومة شفافة للمساءلة والمحاسبة.

من حماة إلى الفضاء الرقمي

في حادثة مشابهة، انتشرت صور وفيديوهات لشابين مسيحيين من محافظة حماة، تعرّضا للضرب وحلاقة الشعر على خلفية جلوسهما مع زميلات مسلمات. وتضمّن الفيديو صوت أحد المعتدين يرتدي زيّ الأمن العام وهو يصرخ: «عم تساوي دعارة مع البنات المسلمين». أثارت الحادثة تضامناً واسعاً، لكن لم يصدر أي رد رسمي «ينفي أو يؤكد» الحادثة حتى الآن. وكانت الإعلامية في تلفزيون «العربي» نور حداد سبق أن نشرت في حسابها على إنستغرام أنه تم توقيفها مع صديق لها في الشارع في دمشق من قبل أشخاص يدعون أنهم من الأمن العام، والسؤال عن صلة القرابة بينهما، قبل أن يتراجعوا بعد معرفة هوية حداد، والتعليق بالقول «روحي أنت ما بينعلق معك».

وتتكرّر الحوادث التي تتعلّق باختلاط النساء والرجال في الأماكن العامة: يخبرنا علاء (اسم مستعار) أنه أثناء انتظاره مع زوجته في «حديقة الوحدة» في دمشق لوصول دورهما في إحدى العيادات الطبية تقدم منهما شابان بلباس مدني، وطلبا منه تقديم أوراق تثبت أنّ من تجلس إلى جانبه في مقعد الحديقة هي زوجته. وبعد تقديم دفتر العائلة تم تركه والاعتذار منه بعد الطلب بترك مسافة بينهما باعتبار أن المكان عام!

النساء في مرمى العنف اللفظي والجندري

الناشطة جود حمادة كانت هدفاً لحملة تنمّر بعد انتقادها فيديو يظهر الرئيس أحمد الشرع وهو يلعب كرة السلة مع وزير خارجيته، معتبرة أنه جاء في وقت يتجاهل فيه ملف ضحايا التعذيب. والهجوم الذي تعرضت له حمادة لم يكن عشوائياً، بل جاء بتحريض علني من المدوّن أحمد العقدة، الذي وصفها بعبارات مهينة ودعا إلى حملة تحشيد ضدها. علماً أن العقدة كان من ضيوف قناة الإخبارية السورية في يوم إعادة انطلاقتها في 5 أيار (مايو) الماضي.

هنا لا بد من استحضار ما كتبته الباحثة سينثيا إنلو، بأن «النساء لسن مجرد ضحايا في الحروب والصراعات، بل تُستَخدم أجسادهن كرمز للسلطة والانتصار أو كأداة لإذلال الخصم». وهو ما ينطبق على الطريقة التي تتعامل بها بعض الأجهزة الأمنية وأصواتها الإعلامية أو الموالين لها مع النساء في سوريا. ولخصت الباحثة دنيز كانديوتي، هذه الدينامية بدقّة حين كتبت أنّ «النساء يُحاصَرن في المجتمعات الأبوية ضمن حدود مفهوم الشرف، إذ يُصبح التحكم بأجسادهن وسلوكياتهن شرطاً لاستمرارية النظام السلطوي». وهو أسلوب استخدمه النظام السابق ومؤيدوه في خطابهم أو أعمالهم كما تقوم به الإدارة السورية الجديدة ومؤيدوها.

في سوريا اليوم، لا تكفي القوانين وحدها لحماية الحريات الشخصية، ما لم تُرافق بإرادة سياسية حقيقية ومحاسبة واضحة للأجهزة الأمنية. وحتى يتحقق ذلك، سيبقى الأفراد عُرضة للابتزاز، والكرامة مسألة تفاوض يومي في الشارع والفرع.

المفكرة

ندوة حول «بلد الأزمات»

■ تحت عنوان «لبنان: أزمات وهجرات، مجالات وسكان، ودولة؟وبلدية؟»، تقيم «حركة مواطنون ومواطنات في دولة» ندوة بعد غد الاثنين في «مسرح المدينة» (الحمرا). الندوة التي تقام عند الساعة السادسة والنصف مساءً، يشارك فيها كل من: الامين العام للحركة شربل نحاس، والمرشح لانتخابات بلدية بيروت كريم سلام والعضو في الحركة المرشح لانتخابات بلدية بيروت علي شيران.

«وبيبقى الجنوب» رغم أنف الاحتلال

■ تستعد «جامعة العلوم والآداب اللبنانية» (USAL) لاستضافة فعالية ثقافية تحت عنوان «وبيبقى الجنوب» ستنطلق يوم 15 أيار (مايو) في حرم الجامعة، بداية من الساعة الحادية عشرة صباحاً. الحدث الذي تنظمه كلية الإعلام يقدّم برنامجاً حافلاً يتناول مواضيع تاريخية وإنسانية وفنية تُلقي الضوء على ذاكرة الجنوب اللبناني. تبدأ الفعالية بمحطة افتتاحية يتخلّلها كلمات من النائب إلياس جرادي وطلاب قسم الإعلام، ومحمد كوثراني. في المحطة الثانية، تنطلق الأصوات لتعبّر عن مآسي الجنوب عبر لقاء مع المرسلة مايا زيادة (الصورة) التي ستروي تجربتها الميدانية، تليها شهادات مؤثرة من المراسلين الذين غطوا العدوان على الجنوب، بينهم محمد فرحات، فاطمة فتوني، آمال خليل، وزينب ياسين. ويختتم المشهد بفقرة إنشادية يقدمها المنشد علي العطار، ليجسّد معاني الصمود والأمل في قلب المعاناة. أما المحطة الثالثة فتسعى إلى استحضار «ذاكرة الجنوب» عبر معرض

تفاعلي يعرض مجموعة متنوعة من الكتب، والصور الفوتوغرافية، والجداريات الفنية التي تحاكي الروح الجنوبية. كما يتضمن المعرض أنشطة تفاعلية تهدف إلى إعادة فتح النقاش حول القضايا الوطنية والفنية التي شكلت وجدان هذه المنطقة.

«وبيبقى الجنوب»: 15 أيار ـ الساعة الحادية عشرة صباحاً ـ «جامعة العلوم والآداب اللبنانية (USAL) – طريق المطار. للاستعلام: 01456102

جوانا الحاج توما وخليل جريج: عن الزمن والذاكرة

■ بين طبقات الأرض، وفي المسافات التي تفصل بين الضوء والذاكرة، تتشكّل أعمال جوانا حاجي توما وخليل جريج في معرضهما الجديد «ذكرى النور» في «متحف سرسق». تجربة فنية عابرة للأشكال التعبيرية، تنطلق من المادة وتذهب بعيداً في تأملات حول الزمن، والذاكرة، والتحوّلات العميقة التي تصيب المدن والأجساد والتواريخ. الصور، الأفلام، المنحوتات، والتجهيزات المعروضة هي خلاصة أكثر من عقد من العمل الفني والبحثي، إذ تتقاطع الجيولوجيا بالشعر، وتصبح الأرض دفتراً يدوّن عليه الفنّانان ما طُمس من حكايات، وما تراكم في الشقوق، وما تحوّل إلى أثر يصعب إدراكه بالعين وحدها.

الفن في هذا المعرض ممارسة تطرح طريقة مختلفة لفهم الزمن والذاكرة. تتراكم الصور والمواد والنصوص لتشكّل سردية بصرية قادرة على مساءلة الواقع، وتحفيز الذاكرة، وفتح أفق جديدة للممكن.

معرض «ذكرى النور» لجوانا حاجي توما وخليل جريج: حتى 4 أيلول (سبتمبر). «متحف سرسق» (الأشرفية، بيروت)

الحرب تخيّم على «غسَق» بيروت

■ في لحظة مسرحية مشبعة بالتصدّع والرغبة في المواجهة، تُستعاد الذاكرة كفعل مقاومة على خشبة «مسرح المدينة». في «غسَق»، ترسم المخرجة والكاتبة اللبنانية كريستال خضر (الصورة) مشهداً تتداخل فيه التجربة الشخصية مع السياق العام: يواجه أربعة ممثلين آثار الانهيار، ويستعيدون ما فُقد عبر الجسد والكلمة. العرض يُقارب إرث ما بعد الحرب الأهلية، إذ يتحوّل الدفاع عن موقع مهدّد بالهدم إلى دفاع عن معنى، عن سردية لم تُروَ، عن جيل لا يزال عالقاً في دوّامة الإفلات من العقاب.

«غسَق»، المستوحاة من مسرحية «الساعون إلى العرش» لهنرك إبسن، تُعيد بناء النص داخل سياق لبناني مأزوم، وتمنح الخشبة وظيفة سياسية ووجدانية في آن. رودريغ سليمان، إيلي نجيم، روي ديب، وطارق يعقوب يحمّلون أجسادهم صراعات الداخل والذاكرة، ضمن رؤية بصرية وصوتية صاغها كل من نديم دعيبس (إضاءة وسينوغرافيا)، وزياد مكرزل (صوت وموسيقى). العمل إنتاج مشترك بين «مسرح تريز فان» والمركز الوطني الدرامي لمدينة مونبولييه، بالشراكة مع مسارح ومراكز ثقافية فرنسية. جال على مدن أوروبية بين عامَي 2023 و2025، من ليون إلى برشلونة، مروراً بتورينو ومرسيليا، ليصل أخيراً إلى بيروت.

مسرحية «غسَق» لكريستال خضر: تُقدَّم بالفرنسية أيام 10، و11 أيار (مايو)، وبالإنكليزية أيام 15، 16، و17 أيار (مايو) . الساعة الثامنة والنصف مساءً . خشبة «مسرح المدينة». تُباع البطاقات في جميع فروع مكتبة أنطوان. للاستعلام: 01753011.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 10 أيار 2025
العدد 5490 السنة التاسعة عشرة
Samedi 10 Mai 2025 no 5490 19ème année

2

معرض الكتاب... يوم كانت بيروت عاصمة التنوير والنهضة والتحرّر

باسل الأعرج
يُلهب قلب «كولومبيا»

رشيد وحتي

اقتحم متظاهرون ملثّمون من بين النشطاء الطالبيين المناهضين لـ«إسرائيل» والصهيونية في «جامعة كولومبيا» المبنى الرئيسي للمكتبة يوم الأربعاء الماضي، ووزّعوا منشورات وعلقوا لافتات تكريم وتحية للمناضل باسل الأعرج (1984 ـ 2017).

وأطلق المتظاهرون، وهم جزء من مجموعة يُقال إنها مرتبطة بشبكة «وحدة الساحات» التقدمية، على قاعة المطالعة اسم «جامعة باسل الأعرج الشعبية»، ووزّعوا منشورات تصف الأعرج بأنه «مثقف مناضل» وفقاً لما ذكرت صحف محلية. تأتي هذه الخطوة التضامنية البالغة الرمزية والفعالية في سياق زيادة الضغوط التي تفرضها إدارة ترامب على المؤسسة، تمويلاً وحريةً أكاديمية.

ونشر تحالف جماعات الاحتجاج في الحرم الجامعي، «جامعة كولومبيا لمقاومة الفصل العنصري»، مقطع فيديو للتظاهرة على تطبيق تيلغرام، يظهر فيه متظاهرون ملثمون يهتفون «فلسطين حرّة» على إيقاع الطبل، بقيادة طالب يقف على طاولة.

وفي بيان أُرسل عبر البريد الإلكتروني، صرّحت المجموعة أنها أطلقت «طوفاناً» في المكتبة، بما يحيل إلى «طوفان الأقصى»، وهو الاسم الذي أطلقته المقاومة الفلسطينية على اقتحامها لغلاف غزة. يُواصل البيان أنّه «ما دامت كولومبيا تُموّل العنف الإمبريالي وتستفيد منه، فسنواصل تقويض أرباحه وشرعيته [...] القمع يُولّد المقاومة».

وأصدرت المجموعة مطالب عدة، بما في ذلك «سحب الاستثمارات المالية بشكل كامل من الاحتلال الصهيوني والفصل العنصري والإبادة الجماعية» ومقاطعة «المؤسسات المتواطئة»، والعفو عن جميع الطلاب والموظفين الذين يواجهون عقوبات «تأديبية».

وكان الشهيد المقاوم باسل الأعرج ناشطاً فلسطينياً وكاتباً معروفاً في التنظير للثورة والمقاومة. شارك في احتجاجات مناهضة للاحتلال، وفي التظاهرات السلمية ضد جدار الفصل الإسرائيلي وتوسيع المستوطنات. وفي نيسان (أبريل) 2016، اعتقلته السلطة الفلسطينية مع خمسة آخرين بتهمة حيازة أسلحة غير مرخصة والتخطيط لشن هجمات على أهداف «إسرائيلية».

وخلال مدة احتجازهم، بدأ الأعرج ورفاقه إضراباً عن الطعام، بعد تعرضهم للتعذيب. وأُفرج عنهم بعد تسعة أيام من دون توجيه تهم رسمية إليهم. وبعد إطلاق سراحه، اختبأ الأعرج، وتعقّبته القوات الإسرائيلية في رام الله في آذار (مارس) 2017، وقتلته أثناء مداهمة منزله.

تحية لأم كلثوم وفيلسوف الفريكة أمين الريحاني... وطرابلس

معرض الكتاب... يوم كانت بيروت عاصمة التنوير والنهضة والتحرّر

محمد ناصر الدين

تستعيد بيروت بعضاً من زخمها وحيويّتها الثقافية المحبّبة وتعود إلى واجهة المشهد الثقافي العربي مع انطلاق الدورة السادسة والستين من «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب»، الذي يُقام بين 15 و25 أيار (مايو) في «سبي سايد أرينا».

هذه المرّة، أصرّ القائمون على هذه التظاهرة السنوية في «النادي الثقافي العربي» على عدم إلغاء النسخة الـ66 التي كانت مقررة خريف العام الماضي، وتأجّلت بسبب الظروف الأمنية المتمثّلة في العدوان الصهيوني على غزة ولبنان، فكان الإصرار على استلحاقها ولو في فترة مزدحمة من العام بمعارض الكتب المجاورة، على أن تُقام النسخة السابعة والستون في موعدها المعتاد في الخريف المقبل.

مدة حرجة في تاريخ البلد

يأتي المعرض في المدة الحرجة التي يحاول فيها اللبنانيون امتصاص صدمة العدوان على لبنان وتدميره الممنهج للبشر والحجر وصولاً إلى المكتبات البيتية والعامة ودور النشر النشيطة في الضاحية الجنوبية والجنوب والبقاع، ووسط تحديات اقتصادية واجتماعية وسياسية تُلقي بظلالها على مجمل الحياة الثقافية في لبنان.

شرخ بين «النادي» و«الناشرين»

يُضاف إلى هذه التحديات الشرخ الذي لا يني يتعاظم بين «النادي الثقافي العربي» ونقابة الناشرين اللبنانيين الذي تُرجم على الأرض بإقامة معرضين متضاربين عام 2023.

ويبدو أن الأمر سيتكرر هذا العام رغم الكلام الذي قيل عن قيام وزارة الثقافة اللبنانية بشخص الوزير غسان سلامة بمحاولة لرأب الصدع بين الفريقين. المحاولة لم تكلّل بالنجاح حتى الآن، إذ لن تتأخر نقابة الناشرين في الإعلان عن موعد نسختها الخاصة من المعرض والمتوقعة في بداية الخريف.

بوجود معرض واحد للكتاب أو أكثر، يقفز القارئ اللبناني عن هذا الخلاف المستحكم ويصبّ جهوده على أمور أخرى، أهمها الحصول على زاده الثقافي والمعرفي بأسعار مقبولة، وأن يحظى بمروحة واسعة من إصدارات دور النشر العربية التي باتت تحجم بالتدريج عن المشاركة في «عميد المعارض العربية» لظروف أمنية ولوجستية (الكلفة العالية للمتر المربع الواحد من دون وجود تحفيزات مغرية) وإدارية (غياب الخدمات المحترفة من باقات الإنترنت إلى الكافيتريا ومواقف الزوار). أضف إلى ذلك حاجة المعرض إلى برنامج دسم من الأنشطة والندوات التي تستقطب كل الفئات العمرية، وهو ما نجحت النسخة السابقة في توفيره مثلاً لفئة الأطفال والمراهقين، وستنتهج النهج ذاته في الدورة الحالية، إذ نشرت الصفحة الرسمية للمعرض برنامج أنشطة الأطفال كاملاً قبل أن تعلن عن باقي الندوات التي لم يكتمل برنامجها حتى لحظة كتابة هذه السطور.

من النادي إلى «عميد المعارض»

سيستفيد المعرض الحالي من الجذور الثقافية العميقة التي سمحت بالانتقال في مدينة التنوير والثقافة من فكرة النادي إلى فكرة المعرض. ذلك أنّ «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» أكبر من مجرّد فعالية سنوية، بل امتداد لمشروع ثقافي تأسّس قبل أكثر من ثمانية عقود. حينذاك، كانت تتجاذب عاصمة البلد الصغير الحجم والمتنوع الثقافة قبيل الاستقلال، تيارات العروبة والتحرر من الاستعمار من جهة، وتيارات التغريب التي تتفاعل معها النخب المحلية عبر الجامعتين الأميركية واليسوعية وقد رسّختا أقدامهما في البلاد، كما تقول سلوى بعاصيري السنيورة، رئيسة «النادي الثقافي العربي» على الصفحة الرسمية للنادي.

في عام 1944، تأسّس النادي كمبادرة فكرية حملت همّ التنوير والنهضة في مرحلة كانت فيها الأمة العربية تبحث عن أدوات التحرر والهوية. وقد لعبت شخصيات فكرية بارزة دوراً محورياً في بلورة رؤيته العروبية والتقدمية، وفي طليعتها المفكر قسطنطين زريق، الذي رعى أول معرض للكتاب عام 1956، ليُقام آنذاك في حرم الجامعة الأميركية في بيروت. هذا المعرض الأول من نوعه في العالم العربي جعل منه عميداً لها، إذ حظي بشرف السبق والمبادرة في بيروت التي سمحت لهذه الديناميكية أن تؤتي أكلها تتويجاً لحركة ثقافية ناشئة هدفت إلى تعزيز الفكر أولاً وأعلام الثقافة والأدب وإعلاء شأن النشر العربي وتسهيل اللقاء بين الكُتّاب ودور النشر والقرّاء.

منذ ذلك الوقت، تحوّل المعرض إلى تظاهرة سنوية، وانتقل عبر مواقع رمزية عدة في المدينة: من «القاعة الزجاجية» الشهيرة في وسط بيروت، إلى حرم الجامعة الأميركية، ثم إلى «مركز بيال للمعارض»، حيث يسعى أن يبقى لبيروت بعضاً من ماء وجهها رغم التحديات الأمنية واللوجستية والاقتصادية الجسيمة.

معاندة التراجع ونفحة طالبية شبابية

شهد المعرض في السنوات الأخيرة تراجعاً ملموساً في حجم المشاركة، نتيجة التدهور الاقتصادي الذي يكابده لبنان منذ عام 2019. بعدما كانت الدورة الواحدة تستقطب أكثر من 240 دار نشر من الأميركية والبيسوعية وقد رسّختا أقدامهما في البلاد، كما تقول سلوى بعاصيري السنيورة، رئيسة «النادي الثقافي العربي» على الصفحة الرسمية للنادي.

في عام 1944، تأسّس النادي كمبادرة فكرية حملت همّ التنوير والنهضة في مرحلة كانت فيها الأمة العربية تبحث عن أدوات التحرر والهوية. وقد لعبت شخصيات فكرية بارزة دوراً محورياً في بلورة رؤيته العروبية والتقدمية، وفي طليعتها المفكر قسطنطين زريق، الذي رعى أول معرض للكتاب عام 1956، ليُقام آنذاك في حرم الجامعة الأميركية في بيروت. هذا المعرض الأول من نوعه في العالم العربي جعل منه عميداً لها، إذ حظي بشرف السبق والمبادرة في بيروت التي سمحت لهذه الديناميكية أن تؤتي أكلها تتويجاً لحركة ثقافية ناشئة هدفت إلى تعزيز الفكر أولاً وأعلام الثقافة والأدب وإعلاء شأن النشر العربي وتسهيل اللقاء بين الكُتّاب ودور النشر والقرّاء.

منذ ذلك الوقت، تحوّل المعرض إلى تظاهرة سنوية، وانتقل عبر مواقع رمزية عدة في المدينة: من «القاعة الزجاجية» الشهيرة في وسط بيروت، إلى حرم الجامعة الأميركية، ثم إلى «مركز بيال للمعارض»، حيث يسعى أن يبقى لبيروت بعضاً من ماء وجهها رغم التحديات الأمنية واللوجستية والاقتصادية الجسيمة.

برنامج ثقافي متنوع

يحاول البرنامج الثقافي المتنوع في دورة هذا العام تعويض النقص في المشاركة العربية عبر مجموعة متنوعة من الندوات والأنشطة سيكون فيها للأطفال حصة وازنة على طول أيام المعرض (13 نشاطاً)، تتوزع ما بين مسرحيتين لروز وماري مطر بعنوان «صديقتي الشجرة» (تستهدف الفئات العمرية بين 3 و 7 سنوات) وأخرى بعنوان «الديك والقمحة» (للفئات العمرية بين 6 و10 سنوات)، إضافة إلى عرض للحكواتي أحمد شبان بعنوان «حكواتي الأطفال وينو خيفان» (الأربعاء 21: 1-12 ظهراً).

تتعزز هذه العروض بندوة بعنوان «الوسائط العلاجية» للاختصاصية حمدة فرحات (الأحد 18: 1-12 ظهراً) ونشاط «الاختبارات الإسقاطية والرسوم: رسم العائلة والشجرة» لأنطوان الشرتوني (السبت 11:24-12 ظهراً)، وأنشطة أخرى للأطفال.

ومن أبرز الندوات التي يقدّر أن يصل عددها إلى 58 ندوة، تلك التي ينظمها «النادي الثقافي العربي» مع «دار نلسن» بعنوان «نصف قرن على وفاة أم كلثوم» ويشارك فيها المؤرخ فيكتور سحاب والأكاديمية مارلين يونس والناشر سليمان بختي (الثلاثاء 20 أيار ـ الرابعة عصراً)، إضافة إلى ندوة لا تقل أهمية بعنوان «مئوية سليمان البستاني» يشارك فيها: ربيعة أبي فاضل وسليمان زين الدين وحبيب يونس وسليمان بختي (الخميس 22 ـ الرابعة عصراً)، وندوة ثالثة يستذكر فيها النادي و «دار نلسن» فيلسوف الفريكة أمين الريحاني في الذكرى المئوية لكتابه المرجعي «ملوك العرب». ويشارك في الندوة (الأحد 25 أيار – السادسة والنصف مساءً) كل من أمين البرت الريحاني، والباحثة إلهام كلاب البساط والشاعر مكرم غصوب والناشر سليمان بختي.

كما تنظّم «الأخبار» طاولة مستديرة فكرية وثقافية يديرها كاتب هذه السطور ضمن جناحها (الثلاثاء 20 أيار ـ بدءاً من السادسة مساءً) يتخللها نقاش مع الروائية علوية صبح عن روايتها الأخيرة «افرحْ يا قلبي»، وأمسية شعرية حول فلسطين والمقاومة مع الشاعرين بلال المصري وعلي حمام، ونقاش بصري ولوني مع الشاعر علي شمس الدين وأنشطة أخرى.

معارض فنية متعدّدة تختص بالتاريخ والغرافيكس والموسيقى ستواكب التواقيع كما أعلنت سلوى بعاصيري، وأبرزها معرض خاص عن مدينة طرابلس يتخلله إطلاق كتاب من قبل النادي بعنوان «روّاد نهضويون من طرابلس» ويشمل 14 شخصية من الأعلام الطرابلسيين الراحلين باستثناء المطران جورج خضر، في مناسبة إعلان المدينة عاصمة ثقافية في عام 2024 والظروف الأمنية التي حالت دون أن يأخذ هذا الإعلان زخمه المستحق العام الفائت. كذلك، يُقام معرض في مئوية الموسيقار توفيق الباشا بمشاركة ابنه العازف عبد الرحمن الباشا، وتكريم للروائي الراحل الياس خوري، على أن يعلن عن تواريخ هذه الفعاليات تباعاً على الصفحة الرسمية للمعرض.

ابرز الإصدارات

في ما يخص أبرز الإصدارات وتواقيع الكتب، يحضر الشعر على مائدة «دار النهضة العربية» بمجموعة بعنوان «أحجار تفضح الصمت» للشاعر العراقي ومدير «معهد العالم العربي» في باريس شوقي عبد الأمير (الجمعة 16 أيار ـ 8 مساءً) ومجموعة أخرى للشاعر حسين بن حمزة بعنوان «كمن يريد أن يمحو» (السبت 17 أيار ـ 6 مساءً) ومجموعة من الكتب النقدية مثل «الهوية المفقودة والانتماءات المتعددة» لهدى المعدراني (السبت 24 أيار ـ 3 عصراً)، و«العقلية العربية والإسلامية بين التراث وتحديات الذكاء الاصطناعي» للكاتب علي نسر (السبت 17 أيار ـ 4 عصراً).

وتبرز إصدارات شعرية ونقدية لبعض الشعراء الشباب مثل مجموعة نثرية أولى بعنوان «سيرك لنور خليفة (الأحد 18 أيار ـ 4 عصراً، «دار النهضة»)، ومجموعة لعلي الرفاعي بعنوان «أطلال 24» عن «دار كاف» وكتابين لنبيل مملوك: الأول نقدي بعنوان «أمجد ناصر: قراءات في قصيدة الفتى والرؤيا» (الثلاثاء 20 أيار ـ 4 عصراً) ومجموعة شعرية بعنوان «مرايا ضمير مستتر» (الإثنين 19 أيار ـ 4 عصراً، «دار النهار»). كما يطلق الزميل عبد الرحمن جاسم روايته «حامل الطين» عن «دار المجمع الإبداعي» (الجمعة 16 أيار ـ 6 مساءً)، وهي جزء أول من ثلاثية يتناول فيها جاسم مرحلة معينة من التاريخ العربي والإسلامي سُوّهت بالكامل عبر الغرب ومستشرقيه والعرب ومستعربيهم. وتصدر الزميلة تهاني نصار كتابها «سيمولاكرا» وهو مجموعة من المقالات التي نشرت في «الأخبار» عن «طوفان الأقصى» وحواشيه المتسارعة، وفيها إحالات إلى فيلم «ماتريكس» وميشال فوكو وبودرار وغيرهم.

كما يشارك قسم اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت بمجموعة من الأنشطة، أهمها حوار مع الروائية حنين الصايغ حول روايتها «ميثاق النساء» بإدارة روى بو حمدان (الأحد 18 أيار ـ 5 عصراً)، وحوار مع الروائية العمانية جوخة الحارثي تجريه لينا روكز (الخميس 22 أيار ـ 5 عصراً)، وحوار لبلال الأرفه لي مع المؤرخ شارل الحايك (الجمعة 23 أيار ـ 6 مساءً)، وحوار لرمزي بعلبكي مع مالك شاكر وامنة سليمان حول اللغة العربية وحاضرها ومستقبلها (الإثنين 19 أيار ـ 5 عصراً).

«معرض بيروت العربي الدولي للكتاب»: يدعامين 15 حتى 25 أيار (مايو) ـ «سبي سايد أرينا» (واجهة بيروت البحرية)

وجوه المعرض

علوية صبح

تحل الروائية اللبنانية علوية صبح ضيفة على جناح جريدة «الأخبار» لمناقشة روايتها الأخيرة «افرح يا قلبي» التي تستكمل فيها صاحبة «مريم الحكايا» حفرها في البنية العميقة للمجتمعات العربية، وتشرّح القضايا الشائكة المرتبطة بالهوية والهجرة والحروب الأهلية ونضال المرأة الشائك لتحصين كينونتها والنضال في سبيل حقوقها في سرد محكم وبارع، ما وضع صبح في طليعة الخريطة الروائية في العالم العربي اليوم.

الثلاثاء 20 أيار ـ السادسة مساء ـ جناح جريدة «الأخبار»

شوقي عبد الأمير

«أحجار تفضح الصمت» هو عنوان المجموعة التي يطل بها الشاعر العراقي شوقي عبد الأمير على قرّائه في بيروت. يواصل «القرمطي الأخير» هنا نحت قصائده البارقة والهشة التي تتحاور بموسيقاها الخفية مع الكائنات وتنهل من تاريخ المنطقة ورموزها وأساطيرها منذ الرقائم السومرية في وطنه الأصلي وصولاً إلى غربة عواليس العراقي في منافيه المتعددة بين عدن والجزائر وباريس.

التوقيع: الجمعة 16 أيار ـ 8 مساءً ـ جناح «دار النهضة العربية»

إسكندر حبش

باقة كبيرة من أعمال الفيلسوف الروسي ليون شيستوف يوقعها الشاعر والمترجم إسكندر حبش عن «دار دلون» السورية، وتتضمن أبرز أعمال شيستوف مثل «أثينا وأورشليم» و«تذكّر أنك ستموت» حول الفيلسوف ادموند هوسرل، و«تحطيم العقلانية» حول فلسفة ديكارت وسبينوزا، و«ليلة جتسماني» عن فلسفة باسكال، و«هبة النبوة» عن فلسفة وأدب دوستويفسكي. كتب توضع بين يدي القارئ العربي للمرة الأولى، إضافة إلى كتاب لتوماس مان بعنوان «تحذير إلى أوروبا». يستكمل حبش حفرياته النقدية بكتاب أول عن الشعر والشعراء، بعنوان «سقوط الذاكرة وسقوط الشعر»، وآخر عن الرحلات الأدبية بعنوان «تحليل الضباب».

تتوافر كتب إسكندر حبش في جناح «دار دلون» (دمشق) ويعلن عن التواقيع حين إصدار البرنامج النهائي

حسين بن حمزة

«كمن يريد أن يمحو» هو عنوان المجموعة الشعرية الثالثة للشاعر السوري حسين بن حمزة، بعد مجموعة أولى بعنوان «رجل نائم بثياب الأحد» (1997) كرّست كواحد من أبرز أصوات قصيدة النثر العربية التي تتميز بتوهجها واقتصادها في المفردات واقتناصها للدهشة الفريدة. وهو ما أكده بن حمزة في مجموعته الثانية «قصائد دون سن الرشد» (2019). يلعب حسين بن حمزة على ثنائية الكتابة والمحو، والكلام والصمت ويكتب قصيدة قوية تثبت حضوره مجدداً كلاعب ماهر في مساحة الشعر بين الصوت والمعنى.

التوقيع: السبت17 أيار ـ 6 مساءً ـ جناح «دار النهضة العربية»

حنين الصايغ

تلتقي الروائية حنين الصايغ بقرائها عبر ندوة حوارية ينظمها قسم اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت لتشريح روايتها «ميثاق النساء» التي شكلت مفاجأة سارة أوان صدورها هذا العام ووصلت إلى القائمة القصيرة لـ «بوكر». تتناول الرواية مجتمع الموحدين الدروز المعاصر وتحاول تفكيكه اجتماعياً ودينيّاً وأسطوريّاً عبر سردية ساحرة لامرأة تبحث عن الأمومة والحرية والحب وقد ترجمت الرواية إلى الألمانية ولاقت نجاحاً لافتاً.

تاريخ الندوة: الأحد 18 أيار ـ 5 عصراً

جوخة الحارثي

تحلّ الكاتبة والأكاديمية العمانية صاحبة «سيدات القمر» ضيفة على برنامج اللغة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت في حوار مع لينا روكز. الكاتبة العربية الوحيدة الفائزة بجائزة «المان بوكر» العالمية أكملت تعليمها بين عمان والمملكة المتحدة، وحصلت على درجة الدكتوراه في الأدب العربي الكلاسيكي في «جامعة إدنبرة». هي حالياً أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية في «جامعة السلطان قابوس». بيعت حقوق ترجمة روايتها «سيدات القمر» إلى 24 وصدرت منها نسخ بالهندية، الروسية، والبرتغالية، واليونانية، والفارسية والفرنسية، والتركية، والسويدية، والإيطالية وغيرها.

تاريخ الندوة: الخميس 22 أيار ـ 5 عصراً

الأب يواكيم مبارك... «الثائر» في العروبة و التنوير وفلسطين!

جاد حجّار

وُلد الأب يواكيم مبارك في عام 1924 في بلدة كفرصغاب في قضاء زغرتا الزاوية (شمال لبنان)، درس اللاهوت في اكليريكية غزير ثمّ تابع في «جامعة القديس يوسف» في بيروت وسافر إلى باريس، حيث نال الدكتوراه بعنوان «إبراهيم في القرآن» من «جامعة سان سولبيس».

في عام 1947، عيّن كاهناً في لبنان، وما لبث أن عاد إلى باريس حيث عيّن خادماً لكنيسة «سان سفرين» في الحي اللاتيني، وصار مدرّساً وباحثاً في عدد من جامعات باريس حتى عام 1984، إذ قرّر العودة إلى لبنان حاملاً بإصلاح الكنيسة المارونية ووطنه. وقد قال في هذا الصدد: «افتح يا لبنان أبوابك، تلك الأبواب الموصدة بوجهي».

إصدار حُرم بحقّه

إلا أنّ الأب يواكيم التحق بركب المبدعين والمجدّدين في مجال الثقافة والفكر والسياسة الذين أغلقت الكنيسة بابها في وجههم واصدرت الحرم بحق بعضهم، ومنعت كتاباتهم أمثال جبران خليل جبران، ويوسف بيك كرم، وأمين الريحاني والأب ميشال حايك.

تتأخّر الكنيسة المارونية دائماً في إعادة النظر في رأيها بأولئك المفكّرين هفوةً أو عن قصد، فاسقطت صفة الكفر عن هؤلاء بعد مدة طويلة من رحيلهم، وتمّ تكريم ذكراهم في الجامعات والأديرة.

> تعاني المنطقة التي ينتمي إليها لبنان من داءين عظيمين: الاحتلال الصهيوني والتخلف الاقتصادي والاجتماعي
>
> (ي.م)

وهذا ما حصل مع الأب يواكيم مبارك: بعد وفاته في عام 1995 ودفنه في فرنسا التي حضنت غربته وعزلته عن المدينة، قرّرت الكنيسة إعادة رفاته إلى مسقط رأسه كفرصغاب، في إشارة منها إلى التصالح المتأخر مع فكره.

كتاب في منويته

في ذكرى مرور مئة عام على ولادة الأب يواكيم مبارك، صدر كتاب «يواكيم مبارك ـ كتابات في المارونية والإسلام وفلسطين» («دار أبعاد» ـ تقديم الباحث والمفكر الاقتصادي الراحل جورج قرم) الذي جمعه وحقّقه الباحث والكاتب سركيس ابو زيد. يجمع الكتاب مقالات ودراسات كتبها الأب يواكيم باللغة العربية وأخرى تمّت ترجمتها في مجلات وكتب. تناول الكتاب تاريخ الموارنة ومقاربة مع وضعهم في زمن الحرب الأهلية اللبنانية وتوصيات للكنيسة، وكذلك تناول مجموعة دراسات ثورية في المسيحية والإسلام، ولا سيّما في المشرق العربي، إلى جانب مقالات له في القضيّة الفلسطينية.

تاريخ الموارنة واصولهم

يتبنّى الأب مبارك سردية البطريرك اسطفان الدويهي الذي يرى أنّ تاريخ الموارنة بدأ مع العصر الهجري أي مع نشأة الإسلام. في العام السابع الميلادي، غزا العرب بلاد الشام، وكان حينها الموارنة المتمركزون في وادي نهر العاصي لا يابهون لأي مرجعية غربية، فعيّنوا حينها بطريركاً خاصاً بهم سيتحوّل لاحقاً إلى لبنة لإنشاء دولة لبنان. ويرى مبارك أنّ الموارنة لم يتأثروا بتألّق الأمويّين ثمّ العباسيّين، فكان وجودهم متجذّراً طبيعياً في المشرق.

يردّ بعضهم أصول الموارنة إلى قبائل سمّاها الإغريق «مردايتاي» وعزفها العرب باسم «الجراجمة»، فجمع الموارنة التسميتين بلفظ «المردة» كورثة لهؤلاء المقاتلين الشرسين. إلا أنّ الأب مبارك، يكشف عن غياب أي علاقة نسب مباشر بين الموارنة والجراجمة، إذ إنّ الجراجمة أتوا من جبال الأمانوس واستقرّوا في لبنان خدمةً للإمبراطورية البيزنطية، وما لبثوا أن انسحبوا في عام 688 ومن تبقّى منهم انضوى تحت سلطة الموارنة.

يقول مبارك في هذا الصدد: «لا جدوى بأن يتباهى الموارنة أو أن يدّعوا أنّهم ابتزوا الخلافة الأموية وأجبروها على دفع الخوّة مرّتين». يعتبر الأب مبارك أنّ الرابط بين الغرب، ولا سيّما فرنسا والموارنة بدأ خلال الحملة الصليبية الأولى، إذ سخّر الموارنة أكثر من ثلاثين ألف مقاتل لمحاربوا تحت راية الحملة الأوروبية. افتتحت هذه المشاركة مرحلة «اعتناق الطقوس اللاتينية»، التي لم يقصد منها الموارنة اعتناق الدين الكاثوليكي «الذي يزعمون ديمومة الارتباط به، بقدر ما كان تبنّيهم بعض العادات والتقاليد الرومانية».

في القرن الثالث عشر الميلادي، أفتى قاضي دمشق ابن تيمية بشنّ حملة عسكرية على الدروز والشيعة والنصيرية كادت أن تؤدّي إلى هلاك تلك المجموعات، فاحتلّت كسروان التي كان غالبية سكانها من الشيعة، ما سهّل لاحقاً للموارنة إقامة تجمّعات رهبانية وزراعية وتربوية. وهنا يحاول الأب مبارك أن يوضّح ـ إنصافاً للموارنة ـ بأنّ التعدّي لم يكن فقط من الغرب على العرب بمساعدة الموارنة، بل كانت ثمّة هناك إشكالات داخلية بين الفرق الإسلامية، ما سمح للموارنة بأن يصبحوا مسيطرين.

وأخيراً يرى مبارك أنّ الارتباط بين الموارنة والكنيسة الكاثوليكية، تعزّز عندما أسّس البابا غريغوار الثاني عشر مجمع روما المارونى الذي خرّج القسم الأكبر من الأحبار الموارنة الجدد.

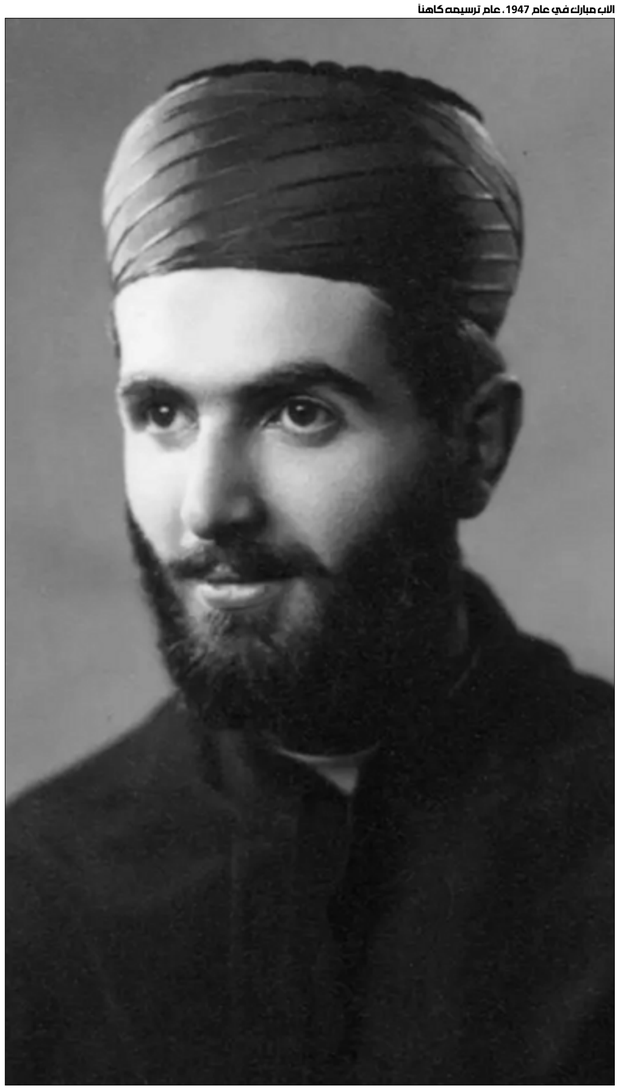

الأب مبارك في عام 1947، عام ترسيمه كاهنا

الموارنة والإسلام والعروبة

عندما نشأت المارونية كهيئة كنسية منظمة بين وادي العاصي وجبل لبنان، كان ذلك متوافقاً مع قيام دولة إسلامية في دمشق. ثمّ تأتي العصور الوسطى في مرحلتين: تلك التي تسبق الحروب الصليبية وتلك التي تليها. المرحلة الأولى لا نعرف عنها الكثير، غير العداء بين «المردة» والدولة الإسلامية. إلا أنّ الأب مبارك يصرّ على أنّ تاريخ الكنيسة المارونية وتاريخ الإسلام واحد. وهو ينظر إلى الكنيسة المارونية بوصفها جزءًا لا يتجزّأ من البطريركية الإنطاكية، وهي مسؤولة عن مسيحيّة الشرق. وهذا ما يستدعي من الموارنة النظر إلى هذا الشرق كمحيط طبيعي طبيعي وموطن أصيل لا بديل عنه، لا كبيئة معادية أو مساحة عابرة.

وبالنسبة إلى العلاقة بين الموارنة والغرب، ولا سيّما اليسوعيين، يحاول مبارك أن يضيء على الجانب الإيجابي منه، بعيداً من الغزوات والحروب. فالكثير من الموارنة لم يطلبوا الحماية من الغرب، بل حاولوا استخدام علاقاتهم مع الغرب من أجل المشاركة المسؤولة في الأمور التي تهمّ مصيرهم، وعملوا على سياسة لا تأخذ بمقولة الاستعمار من جانب ولا بموقف الاحتقار والتنصل من الجانب الآخر: «إنّ هذا البلد الجميل الذي يدعى لبنان تأسّس لا من فعل الفرنسيين ولا من صنع بني عثمان، بل من تعب الموارنة وكدّهم بالمشاركة مع سائر اللبنانيين الذين ارتضوه» وفقاً لما يرد مبارك في الكتاب.

يؤكّد الأب مبارك في مجال التعايش المارونى الإسلامي في العهود العثمانية على ثلاث نقاط: أوّلاً، إنّ تأصّل الموارنة في لبنان وتنظيمهم في كيان كنسي لم يمسّ منذ المجمع الذي انعقد في عام 1736. ثانياً: إنّ تكوين الكيان اللبناني كان نتيجة تآلف الموارنة مع غيرهم من سكان الجبل، ولا سيّما الدروز، فانتقلوا من رعايا للكنيسة إلى أفراد في الإمارة اللبنانية. ثالثاً: يتوافق الأب مبارك مع نظرة الراحل جورج قرم، بأنّ الكيانين الكنسي والسياسي ـ على ضعفهما ـ أنتجا تكوين ما يسمّى «مجتمعاً لبنانياً». وهذا ما أدّى إلى قيام دولة لبنان الكبير، التي تشكّل المرحلة الخامسة والأخيرة للتزامن المارونى الإسلامي التي شهدت على صراعات كبيرة لا سيّما حرب الـ 1975.

إلا أنّ الأب مبارك حاول إيجاد نقاط إيجابية في تلك المدة، آملاً منه بإيجاد صدى إيجابي لرؤيته لدى الكنيسة وفي الساحة السياسية. إلا أنّ صوت الرصاص كان أقوى من صوته بكثير. يجد مبارك أنّ نموّ الكنيسة في المحيط الإسلامي في تلك الحقبة في لبنان كان كبيراً مقارنة بكنائس أخرى في المشرق، رغم كل الصراعات. واستطاعت الكنيسة أن تصبح مؤسسة مستقلةً ضمن دولة محايدة تجاه الموارنة والمسلمين، وهكذا تصبح دولة لبنان وطناً مدنياً يحقق التعايش الحقيقي، ما يجده مبارك إنجازاً تاريخياً. وهذا ما دفع الموارنة إلى أن يكونوا حجراً أساسياً في دولة مدنية. كما إنّهم دخلوا في العروبة من بابها الواسع، لا بل كانوا من أهم المنظّرين لها.

لبنان وفلسطين

في عام 1969، كتب الأب مبارك «رسالة إلى أبناء وطني من المسيحيين»، باللغة الفرنسية وأعيد نشرها باللغة العربية في جريدة «السفير» في عام 2011.

يكاد من يقرأ هذه الرسالة، يظنّ بأنّ كاتبها ناصري ماركسي طليعيّ في انتمائه إلى مقاومة إسرائيل. يرى مبارك أنّ من يظنّ بأنّ الحفاظ على لبنان حرّاً تحت ستار الوفاق بين الطوائف هو شخص منتفع وخبيث، فهذه السياسة لا تحمي من يجب فعلياً الدفاع عنه.

يصف مبارك لبنان في عام 1969 تماماً كما هو الآن: بلد يحثّ على الهجرة لمن استطاع إليها سبيلاً من شباب المسلمين والمسيحيين. أمّا القاطنون فيه، فهم راضخون لنظام تستغلّهم عبره «زمرة من القوّاد».

يقول مبارك: «تعاني المنطقة التي ينتمي إليها لبنان من داءين عظيمين: الاحتلال الصهيوني في فلسطين والتخلف الاقتصادي والاجتماعي». ومن أجل تخطّي تلك المخاطر، يدعو مبارك «أبناء وطنه» إلى ضرورة القيام بواجبين في الوقت عينه: إخلاء فلسطين من الصهيونية وإرساء العدالة الاجتماعية، فـ «إن شاء المسيحي النضال، عليه أن يتحرّر من الخوف والأنانية على حدّ سواء، ويتجاوز مرحلة التعايش وعندئذ، وتحت تأثير الحدث وإثارة مستقبل مثقل، يحين الوقت للنخبة المسيحية أن تضع نفسها في خدمة الجماهير العربية المحرومة».

يدعو مبارك المسيحيين إلى الانخراط في العروبة (arabité) وهو يرفض «العرباوية» (arabisme)، لأنّ العرباوية نقل منمّط لكلمة «اعرابية» ذات الطابع البدوي وهي تهدم جهلها المدينة المنورة التي أرساها النبي من أجل المستضعفين. إنّ هذه الدعوة التي طرحها مبارك في عام 1969، تذكّرنا بالنقاش الحاد السائد في لبنان، فالكثير من اللبنانيين يدعون إلى الانفتاح على العرب من أجل مصلحة لبنان، لكن أيّ عرب؟ العروبيون أم الإعرابيون بحسب مبارك؟ ففي ظلّ الرأسمالية الشرسة، لم يجد بعض اللبنانيين في العروبة إلا البترودولار!

يوصي مبارك اللبنانيين بعد الاتفاق الإسلامي المسيحي في ما بينهم أن يشركوا اليهود ليكتمل المشهد. وبهذا يعتبر أنّ إزالة الصهيونية عن فلسطين واجب ياسم الدين اليهودي والوصايا الإبراهيمية. يعتبر مبارك أنّ العروبة هي الشكل الثقافي الذي يأخذه هذا السعي نحو المسكونية، فالمسيحيون واليهود تماماً كالمسلمين، وجدوا في اللغة العربية، بين بغداد وقرطبة التعبير الأمثل عن فكرهم الديني. ولاختصار رؤية مبارك للمشرق، سننقل خاتمة رسالته:

«يجب ألا يكون هناك أدنى شكّ عند المسيحي اللبناني، بقدر ما تبدو التكاملية التوراتية بين لبنان وفلسطين جليّة، تحت شعار أرض مقدسة واحدة، معروفة على جانبي موطن الأمم الجليل، بعروس التراتيل، بل إنّ كلّ مسيحي في العالم العربي يجد في القدس ملتقاه بكل مؤمن باله واحد. وفي القدس، بعد أن تتحرّر اليهودية من تورطها في النكبة الأخيرة التي قام بها الاستعمار العسكري، ينبغي أن يستدعي ائتلاف إسلامي مسيحي، تحت شعار العروبة، أوسع مسكونية على الإطلاق. العام المقبل في القدس».

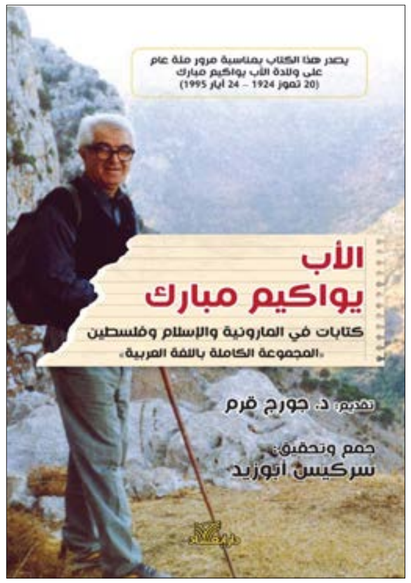

ضمن «معرض بيروت للكتاب»، تقيم «دار أبعاد» ندوة بعنوان «تحية إلى الكلمة الحرّة» عند السادسة والنصف (قاعة المحاضرات B) من عصر الإثنين 19 أيار (مايو) يتحدّث فيها: الهام كلاب، وريجينا صنيفر، وسليمان بختي وحسن حماده. يتخلّل الندوة توقيع كتاب «الأب يواكيم مبارك. كتابات في المارونية والإسلام وفلسطين» للكاتب سركيس أبو زيد ـ «سي سايد أرينا» (البيال سابقاً).

خرج من طائفة الحجر إلى كنيسة البشر

سركيس أبوزيد *

في حقبات تاريخية مختلفة، واجهت البطريركية المارونية أبناءها المبدعين والمجددين والروّاد في الثقافة والفكر والسياسة. واصطدمت بالمبادرات الجريئة والحرّة التي أقدم عليها رجالات عظام أمثال جبران خليل جبران ويوسف بك كرم وأحمد فارس الشدياق والبساتنة وأمين الريحاني وأسعد الشدياق والبازجي والأب ميشال حايك وغيرهم. وأصدرت الحرم بحق بعضهم ومنعت كتاباتهم ولجأت إلى محاربتهم ومنع الرعية من مقاربتهم أو قراءة أعمالهم.

لكن التاريخ والجمهور الماروني الواعي أنصفهم والتفّ حولهم وكرمهم، فاضطرت البطريركية المارونية بعد ذلك، إلى الاعتراف بدورهم، فتبنّتهم وأشادت بهم، متجاهلة القضايا الأساسية الطليعية التي اختلفت عليها معهم. فاضحى جبران الكافر وكرم المتمرد والشدياق الهرطوقي من رموز الموارنة ونوابغ الطائفة، فأُقيمت لهم المهرجانات والمناسبات الفولكلورية بعد تمييع قضيتهم وتجهيل أفكارهم وآرائهم. وهذه الحالة تكررت أخيراً مع الأب يواكيم مبارك، حيث استقبل جثمانه بالترحيب والإكرام خلافاً لرغبته ووصيته، وهو الذي فضّل الغربة على أن يكون شاهد زور على أوضاع الموارنة السيئة وجمود كنيستهم.

وللأب مبارك مع البطريركية قصة طويلة سوف نتوقف عند محطات منها. كانت عودته مناسبة لرفع الصوت في سبيل فتح أبواب ثلاثة موصدة بوجهه؛ وقد عدّدها كما يلي:

الباب الأول: التراث والهوية الأنطاكية. الباب الثاني: الإصلاح الكنسي. والباب الثالث: الزهد النسكي.

عاد الأب مبارك إلى لبنان، ليطرح مشروعه الإصلاحي بعد أن رأى المارونية تتراجع وتتقهقر وتتدهور للأسباب التالية حسب رأيه:

أولاً، ما حل بالمارونية من جراء الحربٍ لا مثيل له في تاريخها. فالتهجير الذي سببته هذه الحرب يمثّل أول تراجع للمارونية في امتدادها المتواصل من شمال سوريا إلى لبنان وإلى الأراضي المقدسة والشرق فالغرب. خصوصاً أن هذا التراجع الجغرافي يخبئ وراءه تراجعاً أكثر خطورة على صعيد الإيمان والأخلاق الخاصة والعامة.

ثانياً، لأن انتشار المارونية المستمر والمتزايد خلال الحرب أصبح خطراً في حال تمادت الهجرة وأفقدت المارونية قاعدتها اللبنانية.

وثالثاً، لأن الوضع الكنسي أصبح مهدّداً بالفوضى على مثال الوضع السياسي والاجتماعي، إذا عدلت السلطة الكنسية عن تبنّي المشاريع الإصلاحية المنطلقة من القاعدة، ومهدّداً بالتحجر إذا تناولت السلطة هذه المشاريع واكتفت بتدبرها سلطوياً أي بطريقة قانونية صرفة، ولم تسمح للقاعدة العلمانية منها والإكليريكية بتداولها مليا وإبداء آرائها وتقديم مقترحاتها.

خلاصة تجربته ومسيرته، جسّدها في مشروع حياته وهو الدعوة إلى «المجمع اللبناني الثاني» . المجمع اللبناني الأول عقد في عام 1736 . على أمل أن يكون المجمع الطريق إلى الإصلاح والتجديد من أجل إحداث نهضة في الكنيسة المارونية تعيدها إلى دور الريادة بعدما رأى المارونية تتراجع وتتقهقر وتتدهور. وكان قد عضّ على الجرح والتزم الصمت طوال أربعين سنة وأكثر، مع زملاء له عملوا من أجل كنيسة البشر لا الحجر.

تبنت الرابطة الكهنوتية مشروعه، وتعاونت مع علمانيين وجامعيين وإكليريكيين من أصدقاء الخوري يواكيم مبارك وقريبين من روحانيته وفكره. وبعدما كسروا الصمت، اضطرت البطريركية المارونية إلى التجاوب مع مساعيهم وأنشأت لجنة جمعية وسمّت الخوري يواكيم أميناً عاماً من أجل تهيئة الأجواء، لعقد مجمع عام لإعادة النظر في شؤون الكنيسة، فانكبّ في صومعته في قنوبين على كتابة تطلّعات الكنيسة لتحديثها، فوضع الخطوط العريضة للعمل الإصلاحي. وقد حددها كما يلي:

الخط الأول: تتبُّع الأصالة الأنطاكية في العمق الروحاني وتجلّي الوحدة المسكونيّة في إحياء التراث السرياني الأنطاكي، لأنّ هذا العمق الروحاني الذي هو في أساس كلّ شيء» في الكنيسة هو بالفعل ما يجمع إلى الآن كل العائلات الأنطاكية على تنوعها رغم اختلافاتها».

الخط الثاني: إطلاق الرسالة الإنجيلية في الشهادة والتعليم والنشر والإبداع الثقافي، لأن «الرسالة الإنجيليّة من شأنها أن تغيّر صورتنا الكنسية التي تشوهت في الحرب».

الخط الثالث: الالتزام الوطني المرتبط، «كهدف أساسي بالمسيرة المجمعية، بالرسالة الإنجيلية والتجدّد الإنساني والروحاني». «من هنا التزامنا بلبنان؛ لأن لبنان في فهمنا الماروني هو عينه في الفهم الإنجيلي وعينه في التزام جميع اللبنانيين بلبنان. والفهم الإنجيلي، الذي دائماً ما ردده على مسامعنا قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، هو الذي يحمينا من التقوقع في الطائفة المغلقة والخلط الأصولي المرفوض، وهو الذي يقتضي منا الانفتاح والمشاركة والارتباط مع الغير لنكون مثالاً عالمياً للعيش الواحد الكريم والحر».

الخط الرابع: الترقي الاجتماعي والاقتصادي، حيث يقول الأب يواكيم «إنّ الأصالة المارونيّة التي نتوخاها من مسيرتنا المجمعية لن تتمّ ما لم تسخّر كنيستنا كل طاقاتها في سبيل الترقي الاجتماعي والاقتصادي وفي سبيل الإنماء، أي ما لم تحقق كنيستنا تضامنها الفعلي مع عامة الناس، تضامناً يردّ دعوتها في الإنجيليّة إلى أصالتها الشعبيّة».

الخط الخامس: تنظيم البيت الماروني، «أي إعادة النظر في بنيتنا الكنسيّة وفي طريقة تنظيم المارونية أنطاكياً واغترابياً. بنوع يفتح أمام كل مارونى باب المشاركة المسؤولة في الكنيسة ويضمن للسيّد البطريرك، وهو المرجع الأوّل والأخير، أمام أبنائه وأمام الكرسي الرسولي، مسؤوليته كاملة».

الموارنة الرافضة

في أعماله وكتاباته، أضاء الأب يواكيم مبارك على مشاركة الموارنة الفعالة في مجالات النهضة العربية، وهو القائل: «كان المطران جرمانوس فرحات بين حلب وروما ولبنان، أول واضع للقواعد العربية في الحداثة، أي سابقاً بأكثر من قرن، عمل أهل الشام ولبنان عندما أطلقوا الحداثة العربية في وادي النيل. وهذا هو بالفعل الحدث الأكبر الذي يجعلنا نتعرّف إلى أنمة النهضة في أعمال بطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وخليل سركيس وأمين الريحاني وجبران خليل جبران ومي زيادة».

ويستخلص: «خصصت الموارنة بهذا العرض لأشير بوضوح إلى أن جميع الذين ذكرتهم وغيرهم كثير، هم من الاقحاح الموارنة، لأنهم من الموارنة الرافضين الإستبلشمنت الماروني... هذا إذاً البعد الثقافي الماروني الأصيل في النهضة، وهذا هو البعد الرافض من حقيقته المثالية وفي صحته الإبداعية، أي في النقد الذاتي الذي هو في أساس كل ثقافة وتلاق ونهضة».

الخوري يواكيم مبارك هو استمرار لبعد ماروني أساسي تجسّد في التاريخ والتراث، «هو بُعد العصيان والتمرد والرفض... فالموارنة هم أولاً وأخيراً من العصاة والرافضين والمتمردين...» حسب قوله. ويتابع الأب يواكيم استعراض مسيرة الرفض الماروني التي تُعاكس المفاهيم السائدة فيقول: «وليس من الصحيح أن الموارنة والروم الفرنجة بالطريقة المبسطة التي تتناقلها كتابات قديمة وحديثة، فهي أقرب إلى الدعاية منها إلى التاريخ أولاً. لأن الموارنة لم يتفقوا يوماً على شيء، وثانياً لأن حكم الموارنة في مرحلة الصليبيين حكم سائر الفئات الشرقية التي تعاملت معهم وفقاً لمصلحتها، قيادات وجماعات. وحتى في أيام المتصرفية التي يقال إنها صُنعت لحماية الأكثرية المارونية في لبنان القديم، فإني أخوّر بانتماء عائلي يشدني إلى حروب يوسف بك كرم، أي إلى الذي ناهض المتصرفية، لا لأهداف شخصية أو طائفية، كما يزعمون، بل لكونه لم يقبل أن يُحكم لبنان، في ظل الدول الكبرى، إلا لحاكم لبناني. والمتمرد الإهدني هذا هو الذي راسل من منفاه ذاك المنفي الجزائري الكبير في خلوته الدمشقية، وكان موضوع المراسلة بين يوسف بك كرم والأمير عبد القادر قيام مملكة عربية».

عاد الأب يواكيم إلى لبنان من أجل إصلاح الكنيسة المارونية وتجديدها، ولكن بعض غلاة الانعزالية اتهموه بأنه «عاد إلى مارونيته بعد رحلة طويلة في الإسلام والمسكونية والسياسة». وفي الاتهام إشارة إلى غوصه بعمق وانفتاح على العالم الإسلامي، فكان مؤلفه الشهير «الخماسية الإسلامية المسيحية» الصادر في عام 1972 واهتمامه بالحوار المسيحي – الإسلامي وصداقته مع كبار رجال الدين والعلم في الإسلام، ومنهم الإمام موسى الصدر وكمال جنبلاط؛ وتبوؤه مركز مستشار ومعاون في «معهد دار الإسلام» (جامعة الأزهر) في القاهرة (1954 – 1975) كما كان يدافع عن حق الشعب الفلسطيني والقضايا العربية العادلة. ولم «يتسامح مع من ينادي بلبنان الصغير المنحصر بين نهر الموت وجسر المدفون». ورفض أن تتحول المارونية من كنيسة إلى طائفة لا يُنظر إلا في مصالح أعضائها.

ماهو مفهومه للعروبة التي رفعها إلى قضية؟

التزم يواكيم مبارك بالعروبة كقوة لقاء واتحاد تنتشر دون أي تفرقة وتمييز على مجمل العالم العربي وسكانه. فإلى المسلمين يحتاج المسيحيون لتشكيل أمة المؤمنين التي نادى بها القرآن. ويستخلص: «إنّ الالتزام الصادق بالعروبة يتطلب في آن واحد تحرير المجتمعات المسيحية والإسلامية من التأثير الطائفي ومن كل آثار الأنظمة الدينية البالية، لتتطور نحو نموذج مجتمعي ديموقراطي متساوٍ، يؤمّن للجميع الحقوق والآمال نفسها».

عذراً أبونا يواكيم مبارك، رغم مساعيك وبعد حوالى 30 سنة على غيابك، ما تزال أبواب الإصلاح والتجديد في الكنيسة المارونية غير مشرعة، وأنت الموجود في الوجدان الأنطاكي والمسكوني مغيَّب عن الحضور في الوعي العام لأبناء الرعية والجمهور المشرقي. فأين الكنيسة اليوم من دعوتك إلى الهوية الأنطاكية والتنسك والزهد وقسم كبير من رجال الدين غارق في الترف والاستهلاك والمظاهر؟

هل الكنيسة المارونية عصيّة على التطور؟

في الذكرى المئوية الأولى لولادة الخوري يواكيم مبارك نُجدد الدعوة إلى إنصافه:

أولاً، اعترفوا بدوره الرائد في الإصلاح الديني.

وثانياً، التزموا نهجه الفكري الأخلاقي التجديدي.

وأخيراً، كرّموه ولو في غيابه.

هذا النداء، موجّه أولاً إلى الكنيسة التي نذر حياته فيها وأعطاها وزنات وازنة من فكره وزهده. كما أدعو محبيه إلى تجسيد نهجه في مبادرات وأعمال تُعيد الروح إلى رسالته الأنطاكية وتجدّد دوره في مشروع للآتي يشمل الإصلاح الكنسي، والموالفة المسيحية الإسلامية، والعلمانية المشرقية، والعروبة الحضارية.

عذراً أبونا يواكيم مبارك، أعادوك إلى كفرصغاب لأن أبواب محبيك مفتوحة لك؛ لكن أبواب الإصلاح والتجديد في الكنيسة المارونية ما تزال مقفلة.

في الختام نردد مع المطران منير خيرالله - كان الخوري آنذاك – الذي قال في ذكرى تكريم الأب مبارك عام 1996: «أبتِ قررت أن تعود إلى صومعتك البارسية بعد محطتك اللبنانية المجمعية، لأن كنيستك لم تفهمك، إذ كنت سباقاً في فكرك ولاهوتك ونبياً يصرخ في صحراء لبنان». وتمنى أن لا يكون مصيره «مثل الأدباء والكتاب الموارنة رواد النهضة العربية الذين سبقوا عصرهم، فخرجوا من كنيستهم ولم يعودوا إليها إلا ليُدفنوا».

مقتطف من مقدّمة الكتاب بقلم مؤلّفه

رواية

مازن حيدر في مدار الحرب والهوية والذاكرة

سلوى دبوق

لو كانت للأسرار رائحة، لكانت قرية «عين سرار» تفوح بأكثر العطور إثارة للفضول!

في روايـة «صيف أرملة صاروفيم» (دار هاشيت ـ نوفل)، يصحبنا الكاتب اللبناني مازن حيدر في رحلة أشبه بمطاردة كنزٍ مدفون. لكن بدلاً من خريطة قراصنة ممزقة، نجد دفتر أرملة غامضة، وشائعات تدور بين الجيران، ورجلاً يُدعى ملحم يبدو كأنّه يحمل في جيبه أسرار لبنان كلّه. وعندما تصل الشابة أسامة هاربة من قصف بيروت، تجد نفسها في قرية وادعة في ظاهرها، لكنها تغلي بالألغاز تحت السطح، مثل ركوة قهوة تفور ببطء على نار الجمر.

تسير رواية «صيف أرملة صاروفيم» أغوار الذاكرة والتاريخ والجغرافيا في مشهد لبناني مُثقل بآثار الحرب الأهلية. ينقلنا الكاتب إلى قرية «عين سرار»، وهي قرية متخيّلة، لكنها تمثّل نموذجاً مكثّفاً للقرية اللبنانية بما تحمله من تعايش ديني وتشابك اجتماعي. هناك، تتقاطع مصائر شخصيات تسعى ـ كلّ على طريقتها ـ إلى التكيّف مع واقع مضطرب وماضٍ غامض. يرسم حيدر عالماً تتداخل فيه ألغاز الأمس مع وطأة ما انقطع بين الإنسان وأرضه.

شخصيات مرسومة بعناية

يرسم الكاتب شخصيات الرواية بعناية فائقة، ويمنح كلّاً منها ملامح مميزة وتعقيدات إنسانية تُضفي عليها عمقاً واقعياً. تجسّد أسامة، المعلمة الشابة لطفلين نازحين، دور البطلة والشخصية المحورية، وتتحوّل إلى عين القارئ التي ينفذ عبرها إلى عالم الرواية. تخوض الفتاة الشابة خلال صيف استثنائي رحلة نضج وتفتح داخلي، متحوّلة من معلمة إلى باحثة في أسرار القرية، في مسار يُحرر المعرفة من سرديات السلطة ويربط التعليم بكشف الغموض وفك شيفرات الماضي. يجسّد ملحم، خالها الطبّب، شخصية الرجل البسيط الحكيم، الحارس الصامت لأسرار تتجاوز تفاصيل حياته اليومية وتلمس قضايا أعمق من ظاهر الأمور. يضيف الكاتب شخصيات مثل صادق حسامي، الموظف الرسمي الحريص على حفظ الآثار، وشحادة أبو لبن وبربر، الحارسين المتناقضين للذاكرة الشعبية، لتقديم وجهات نظر متعددة حول التاريخ والواقع، ما يثري نسيج السرد ويمنحه تنوعاً حيوياً. يظهر نزار، ابن السلطة المحلية، تأرجحه بين الولاء لوالده «جبرايل» بوصفه رمزاً لقوى الأمر الواقع، والرغبة في كسر الحواجز الطبقية، بينما تكشف سيارته المليئة بالوقود وسط الحصار عن امتيازات فادحة في أوقات الانهيار.

تُعدّ جوهرة، أرملة صاروفيم، من أكثر الشخصيات حضوراً وإيحاءً في السرد الروائي. فهي ليست شخصيةً هامشية، بل محور تدور حوله عدد من التساؤلات والتكهنات التي تغذي جو الغموض والبحث في قرية «عين سرار». منذ ظهورها الأول، يحيط بها الكاتب بهالة من الانزواء والغموض، ما يثير فضول أسامة وسكان القرية على السواء. تتناقل الألسن حكايات عن زوجها الراحل، حارس «متحف مار قرياقوس»، وتُنسج الأساطير حول كنز أو آثار ضائعة ترتبط بهما، ما يجعل من جوهرة مركزاً غير معلن للتحقيق والتأويل. تتعمّق أهميتها السردية عبر دفتر قديم يقع في يد أسامة، وهو ليس مجرد مجموعة من الخواطر، بل أشبه بخريطة غامضة، حافلة بالإشارات إلى شخصيات محورية مثل الشيخ عباس، وأسرار ماض مموّه. هذا الدفتر يصبح مُحفّزاً لرحلة أسامة نحو اكتشاف خفايا القرية، وتظهر جوهرة كعنصر حاسم في الربط بين أطراف الحكاية المتناثرة.

حماية الآثار

تتناول الرواية مسألة حماية الآثار بطريقة غير تقليدية، فتتجاوز السرد المعتاد حول السرقة ومطاردة اللصوص، لتكشف عن خطة سرية ومحكمة وضعتها شخصيات موثوقة مثل صادق، صاروفيم، وملحم، بهدف إنقاذ الجزء الأكبر من مقتنيات المتحف من الضياع في خضم الفوضى. تعتمد هذه الخطة على التمويه والنقل السري إلى مخبأ محلي، ما يفتح الباب أمام تساؤلات عميقة حول معنى «الحماية» في زمن الأزمات: هل يمكن تبرير خرق الإجراءات الرسمية، كالتظاهر بنقل الآثار إلى الخارج، إذا كان ذلك يصب في مصلحة الحفاظ عليها؟ بهذا الطرح، توجّه الرواية نقداً ضمنياً للآليات الحكومية التي غالباً ما تبدو عاجزة في وجه الكوارث، وتسلّط الضوء على أهمية المبادرات الفردية أو المحلية، ولو جاءت خارج الأطر المعترف بها.

تجدر الإشارة إلى أن خلفية الكاتب مازن حيدر كمهندس قد تكون تركت بصمتها على بناء الرواية وبعض أحداثها. يظهر هذا التأثير بشكل خاص في المنهجية والتخطيط المحكم الذي يتم به التعامل مع مسألة حماية الآثار وإخفائها. إن العملية التي يصفها الكاتب، والمتعلقة بنقل الآثار وتوثيقها وإخفائها في قبو ملحم، تبدو كأنها نتاج تفكير منطقي ومنظم، يشبه إلى حد ما عملية هندسية تتطلب الدقة في التنفيذ وتأمين الموقع. كما يمكن ملاحظة ميل إلى التفصيل في وصف بعض الأشياء أو المواقع (مثل قائمة المسروقات بأبعادها المذكورة، أو وصف جبانة المتاولة ومغارة الشيخ عباس)، وهو ما قد يعكس عقلية تهتم بالقياسات والتفاصيل المادية.

هذا البناء المنهجي للأحداث المتعلقة بالسر الكبير يضيف طبقة من الواقعية والمنطقية على جانب يبدو في ظاهره غامضاً أو أسطورياً، ما يُعزّز مصداقية السرد ويشير إلى أن حماية التراث، حتى في زمن الحرب، قد تتطلب خططاً مُحكمة تتجاوز العشوائية.

ومع ذلك، لا يتردد الكاتب في توظيف بعض ملامح اللهجة اللبنانية المحكية (مثل استخدامه لعبارات «يا تانت» و«ما بني شي»)، خصوصاً ضمن الحوارات، وهو ما يمكن أن يُقرأ كتعبير عن الهوية اللبنانية وتجاذباتها بين الفصحى والعامية، أو كأداة لتعزيز واقعية المشهد الحواري.

نتيجة لذلك، تكتسب الحوارات طابعاً تلقائياً يعكس بصدق طبائع المتحدثين وتباين خلفياتهم الثقافية. ويتجلى تمكُّن حيدر الأسلوبي أيضاً في انتقاله السلس والمتقن بين السرد الوصفي المشهدي، والحوارات الحية، والمناجاة الداخلية (المونولوج) لشخصية أسامة المحورية، ما يمنح العمل الروائي إيقاعاً ديناميكياً ومتنوعاً يثري تجربة القراءة. في الختام، تُعد رواية «صيف أرملة صاروفيم» عملاً أدبياً مهماً يتجاوز كونه مجرد قصة بوليسية أو تاريخية. إنها رواية متعددة الطبقات تغوص في ذاكرة المكان وأهله، وتستعرض كيف يمكن للحرب أن تعصف لا بالمستقبل فقط، بل بالماضي أيضاً. عبر شخصياتها المعقدة والغازها المتشابكة، تدفع الرواية القارئ إلى التفكير في قيمة التراث الوطني، وصعوبة التمييز بين الحقيقة والخيال في زمن تتداخل فيه الروايات وتضيع فيه الحقائق.

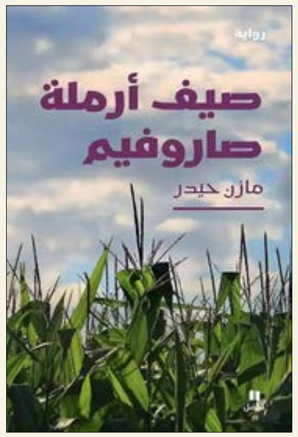

مشهد لبناني مُثقل بآثار الحرب الأهلية

وادعة للوهلة الأولى، لكنها تُبطن في أعماقها تاريخاً متشابكاً وصراعات دفينة. وبذلك، يرتقي المكان في الرواية ليكتسب أبعاداً تجعله أشبه بشخصية فاعلة، تحمل بين ثناياها بصمات الماضي وإرهاصات الحاضر المثقل بالتحدّيات. ويُسهم التناقض بين سحر الطبيعة ووطأة الحرب المتربصة في الخلفية، في خلق أجواء فريدة تمتزج فيها السكينة الظاهرية بالتوتر الكامن، مانحةً القارئ إحساساً عميقاً بالهدوء المشوب بالقلق.

تتناول الرواية مجموعة من القيَم بعمق واتساع، تتقدّمها الحرب التي تُشكّل خلفية ثابتة تؤثّر في مصائر الشخصيات وتوجّه خياراتها. لا تقتصر المعالجة على العنف المباشر، بل تتوسّع لتُظهر تداعياته الإنسانية العميقة: النزوح، القلق على الأحبة، انقطاع التواصل، والاضطراب الذي يصيب النسيجين الاجتماعي والاقتصادي. إلى جانب ذلك، تبرز ثيمة الذاكرة والتاريخ، إذ تنخرط الشخصيات في رحلة استكشاف لماضيها الفردي والجمعي، وسط أسرار مطموسة وحقائق مؤجّلة. ومن هنا، يتحوّل البحث عن «الكنز» إلى مجاز لاكتشاف الهوية واستعادة التاريخ المُحلي، في محاولة لإعادة وصل ما انقطع بين الإنسان وأرضه.

شخصيات مرسومة بعناية

يرسم الكاتب شخصيات الرواية بعناية فائقة، ويمنح كلّاً منها ملامح مميزة وتعقيدات إنسانية تُضفي عليها عمقاً واقعياً. تجسّد أسامة، المعلمة الشابة لطفلين نازحين، دور البطلة والشخصية المحورية، وتتحوّل إلى عين القارئ التي ينفذ عبرها إلى عالم الرواية. تخوض الفتاة الشابة خلال صيف استثنائي رحلة نضج وتفتح داخلي، متحوّلة من معلمة إلى باحثة في أسرار القرية، في مسار يُحرر المعرفة من سرديات السلطة ويربط التعليم بكشف الغموض وفك شيفرات الماضي. يجسّد ملحم، خالها الطبّب، شخصية الرجل البسيط الحكيم، الحارس الصامت لأسرار تتجاوز تفاصيل حياته اليومية وتلمس قضايا أعمق من ظاهر الأمور. يضيف الكاتب شخصيات مثل صادق حسامي، الموظف الرسمي الحريص على حفظ الآثار، وشحادة أبو لبن وبربر، الحارسين المتناقضين للذاكرة الشعبية، لتقديم وجهات نظر متعددة حول التاريخ والواقع، ما يثري نسيج السرد ويمنحه تنوعاً حيوياً. يظهر نزار، ابن

عادل عصمت يروّض الزمن بالحكاية

هدى عمران

تدور رواية «في نهاية الزمان» (الكتب خان) للكاتب المصري عادل عصمت في قرية نخطاي، التي تمثل نموذجاً للقرية المصرية التقليدية، عبر شخصيات متعدّدة، يرصد عصمت التحولات الاجتماعية والسياسية التي طرأت على المجتمع الريفي عبر العقود. لا يقتصر السرد على لحظة تأسيس الجمهورية عام 1952، بل يمتدّ إلى فجر التاريخ البشري، إذ نفاجأ بفصل يستعيد فيه الكاتب زمناً سحيقاً، حين لم يكن الإنسان قد وطأ الأرض بعد. في المقابل، يُختتم السرد بعالم آخر، تلتقي فيه أرواح مفقودي القرية في البرزخ، انتظاراً لردّ المظالم.

شخصيات بسيطة

عبر شخصياته الإنسانية البسيطة، ينسج عادل عصمت سرديته الكبرى عن الزمن. تتجلى سمية، المرأة الريفية التي تواجه قسوة الحياة اليومية، نموذجاً لصبر النساء وكفاحهن في وجه الانهيارات الاجتماعية. أما الحاجة نفيسة، فهي الذاكرة الحيّة للقرية، سليلة عائلة كانت بيدها السلطة ذات يوم، وقد شهدت بعينيها تحولات الزمن وانتقال مقاليد الحكم إلى يد الضباط الأحرار. ويمثل سامي العفيفي جيل «ثورة يوليو»، الساعي إلى إيجاد موطئ قدم في عالم متغير، وقد أراد أن يصير كاتباً ليمنح بلدته صوتاً وحكاية.

عبر هذه الشخصيات وغيرها، يصوغ عصمت تأملاته حول الزمن، الذي لا يسير في خط مستقيم، بل يظهر أحياناً دائرياً، متشابكاً، يخفي تحته عوالم موازية وحيوات معلقة. فعصمت، كما في معظم أعماله التي ضمّت عشر روايات، وثلاث مجموعات قصصية، وكتاباً فكرياً بعنوان «كتابة القصص وبناء الأعشاش» الذي يتأمّل فيه تجربة الكتابة ذاتها، يؤمن بأنّ السرد هو الوسيلة التي يملكها الإنسان لمحاولة إعطاء معنى للزمن، و«ترويضه» عبر الحكاية.

في هذه الرواية، يتخذ الزمن طابعاً تاريخياً مفتوحاً على التغير. لكنه في الوقت نفسه متشظٍ، والمكان (قرية نخطاي) واقعي واجتماعي، تنمو الشخصيات بداخله عبر شبكة متداخلة من الزمان والمكان. هذا الانفتاح السردي على الزمن يعكس إدراكاً عميقاً بأنّ الإنسان المعاصر لم يعد يملك يقيناً بأنّ حياته تتقدم نحو غاية محددة، بل هو معلق في دوائر متكررة من الذاكرة، والصدمة، والعادة (دوائر تصوغ هوية قلقة ومتغيرة). أما تشظي الزمن، الذي يُظهره النص عبر تداخل الأزمنة (الماضي، الحاضر، المستقبل)، فيجعل الشخصيات لا تعيش وفقاً للحظة واحدة، بل تحمل وعياً زمنياً مركباً، يعكس تعقيد التجربة الإنسانية وتعدد مستوياتها.

قوة الأسطورة

يؤمن عصمت بقوة الكلمة، وهي قناعة تتجلّى في طرحه لفلسفة الأدب في كتابه السابق «كتابة القصص وبناء الأعشاش»، إذ يرى أنّ الأدب ينطلق من مكان خفي، تراكم غير محسوس، لا يلبث أن يتحول ـ فجأة ـ إلى حدث كبير، أو حتى إلى أسطورة. لكنه يتعامل مع مفهوم الأسطورة بطريقة مغايرة للتصوّر التقليدي؛ فلا يقدّمها كحكاية خرافية أو دينية من زمن سحيق، بل كجزء حيّ ومتجدّد من الوعي الشعبي والزمني، يتداخل مع الواقع والتاريخ، ويمنح الوجود البشري بُعداً أكثر عمقاً. في الرواية، تتسلّل الأسطورة عبر الحكايات التي يتناقلها أهل القرية عن الأرواح، والبرزخ، والعدالة الغيبية، وتحوّلات الزمن. إنها وعي موروث، لا ينفصل عن الواقع بل يُستخدم لفهمه وتأويله، خصوصاً حين يعجز التاريخ الرسمي عن إنصاف الناس أو تفسير ما جرى لهم. حتى الزمن يتخذ طابعاً أسطورياً؛ لا يسير في خط منطقي مستقيم، بل يحاكي بنية الحلم، ويتشظّى إلى لحظات متداخلة، كما حين يعيدنا السرد إلى ما قبل وجود الإنسان، ويُدخل القارئ في زمن كوني، ما قبل تاريخي، يجعل من قرية «نخطاي» فضاءً مشحوناً بالرمزية.

حكاية عن قرية مصرية تعكس تأملاً في مصير الجماعة البشرية

والأسطورة، عند عصمت، ليست فقط وعاءً للذاكرة، بل أداة مقاومة، تمنح المهمّشين والمنسيين مكاناً في الحكاية الكبرى، في وجه عالم يسحق الأفراد ويبتلع مصائرهم. إنّها السبيل لاستعادة الصوت، وإعادة تشكيل الزمن عبر السرد.

النوستالجيا حالة جماعية

في «في نهاية الزمان»، يوظّف عصمت الحكاية كأداة لرؤية الزمن والمكان والعدالة، إذ تتحول إلى فعل سردي مقاوم، يدمج بين الغيبي واليومي، والميتافيزيقي والاجتماعي، ليمنح القرية — ومن مرّوا بها — شكلاً من أشكال الخلود الرمزي.

كما يستثمر النوستالجيا، لا باعتبارها مجرد إحساس فردي بالحنين، بل كحالة جماعية تنبع من لحظة تحوّل تاريخي حاد، تمتد من لحظة تأسيس الجمهورية المصرية حتى الزمن المعاصر. يظهر الحنين إلى الماضي كآلية دفاعية للوعي الجماعي في مواجهة التغيرات العميقة التي اجتاحت الريف، وبدّلت القيم والعلاقات والهياكل الاجتماعية. شخصيات مثل الحاجة نفيسة، التي تحمل ذاكرة زمن كانت فيه عائلتها في موقع السلطة، وسامي العفيفي، الذي حلم بتوثيق سيرة بلدته قبل أن تبتلعه تحولات الواقع، تمثّل تجسيداً لهذا الحنين المعلّق بين مجدٍ مفقود وحاضرٍ يفتقر إلى المعنى.

لكن عصمت لا يقع في فخ تمجيد الماضي، بل يكشف كيف تتحول الذاكرة، في لحظات الفقد، إلى ملاذ سردي، يحتمي به الأفراد والجماعات لاستعادة توازنهم وفهم ما جرى لهم. فالنوستالجيا، كما يقدمها في الرواية، ليست مجرد عاطفة، بل بنية سردية تعكس تمزّق الهوية أمام التغير، ومحاولة الإنسان — كما يشير عصمت مراراً — إلى «ترويض الزمن» عبر الحكاية.

رواية «في نهاية الزمان» ليست مجرد حكاية عن قرية مصرية، بل تأمّل في مصير الجماعة البشرية، وفي جدوى السرد نفسه. إنها رواية عن الزمن المراوغ، والذاكرة الجريحة، والأسطورة التي تنبع من أرض الواقع، لا من الخيال.

بمزجه بين الغيبي واليومي، والميتافيزيقي والاجتماعي، يمنح عصمت لأبطاله — وللقارئ معهم — فرصة للعبور نحو المعنى، في عالم فقد الكثير من يقينه.

عقيل الموسوي في عوالم «البكائين»

منير الحايك

الدخول في عوالم فئات معيّنة تعدّ من الأقليات في المجتمعات العربية والحديث عنها وعن تفاصيل عقائدها وعاداتها وتقاليدها، أمر أصبح شائعاً في الرواية العربية الحديثة.

فما الجديد الذي قدمه النص؟

حكى النص قصة صادق الذي سافر ليدرس في لندن، وهناك نشأت علاقة حبّ بينه وبين فتاة نكتشف أنّها من «البهائيين».

وتكمل الرواية في تلك المرحلة للحديث عن الظلم الذي تعرّضت له ضياء وصادق من العائلتين اللتين لم تقبل إحداهما التنازل للأخرى من أجل إتمام الزواج. وهنا أيضاً لا جديد سوى المعلومات التي عرفناها عن البهائية بوصفها طائفة لها اتباع وعقيدة بتفاصيل تشبه تعقيدات كل الطوائف والمذاهب والأديان الأخرى.

أسلوب الكاتب سلس وجذاب في الحديث عن العلاقة ووصولها إلى حائط مسدود، لكنها تبقى من ضمن العادي والمتوقّع.

مرحلة النضال

لم نعرف عن البحرين سوى القضايا المتعلقة بالشيعة، وهو أمر جيد، فتركيز النص على هذا الأمر يجعله صاحب قضية واضحة. نقد الكاتب ما أراد نقده، وأوضح ما يقبله وما لا يقبله، وادخل معه قضية الأستاذ غازي وجماعة السفارة. وفي نهاية الرواية، نجد الحاج جواد، النائب جواد، يعتزل السياسة وكل ما ناضل من أجله مستسلماً للأمر الواقع الذي أدّى إلى إقفال جمعيّته... كلها أحداث توثّق لمرحلة سياسية حساسة من تاريخ البحرين، وهو أمر أجاده الكاتب وقدمه في قالب مقبول من دون الانحياز إلى جماعة ضد أخرى.

عبر ما قدّمه وخصوصاً شخصية صادق، كان النصّ حذراً وعقلانياً في إيصال النقد والانتقاد وإيصال الظلم الذي تفرضه الطائفة على أبنائها وفي مقابله الظلم الذي يتعرض له أبناؤها في محيطهم بوصفهم أقلية، ليقول إنّ الظلم واحد، مهما اختلفنا حول مصدره وضحاياه.

أدخلت الرواية كل الخلافات داخل الطائفة أيضاً، ولم تركز على الخلافات مع الطوائف الأخرى إلا عبر بعض التلميحات السياسية. وهذا أمر للجدة على كل تفاصيل الحياة في تلك العائلة. وعبرها دخلنا، أو أدخلنا النص في حياة الشيعة وهمومهم ومشكلاتهم وقضاياهم. لكن ما قدّمه النص بالنسبة إلى تلك العائلة يعرفه المتلقون، أو فلنقل يعرفون معظمه... فما الجديد الذي قدمه النص؟

حكى النص قصة صادق الذي سافر ليدرس في لندن، وهناك نشأت علاقة حبّ بينه وبين فتاة نكتشف أنّها من «البهائيين».

وتكمل الرواية في تلك المرحلة للحديث عن الظلم الذي تعرّضت له ضياء وصادق من العائلتين اللتين لم تقبل إحداهما التنازل للأخرى من أجل إتمام الزواج. وهنا أيضاً لا جديد سوى المعلومات التي عرفناها عن البهائية بوصفها طائفة لها اتباع وعقيدة بتفاصيل تشبه تعقيدات كل الطوائف والمذاهب والأديان الأخرى.

أسلوب الكاتب سلس وجذاب في الحديث عن العلاقة ووصولها إلى حائط مسدود، لكنها تبقى من ضمن العادي والمتوقّع.

مرحلة النضال

لم نعرف عن البحرين سوى القضايا المتعلقة بالشيعة، وهو أمر جيد، فتركيز النص على هذا الأمر يجعله صاحب قضية واضحة. نقد الكاتب ما أراد نقده، وأوضح ما يقبله وما لا يقبله، وادخل معه قضية الأستاذ غازي وجماعة السفارة. وفي نهاية الرواية، نجد الحاج جواد، النائب جواد، يعتزل السياسة وكل ما ناضل من أجله مستسلماً للأمر الواقع الذي أدّى إلى إقفال جمعيّته... كلها أحداث توثّق لمرحلة سياسية حساسة من تاريخ البحرين، وهو أمر أجاده الكاتب وقدمه في قالب مقبول من دون الانحياز إلى جماعة ضد أخرى.

عبر ما قدّمه وخصوصاً شخصية صادق، كان النصّ حذراً وعقلانياً في إيصال النقد والانتقاد وإيصال الظلم الذي تفرضه الطائفة على أبنائها وفي مقابله الظلم الذي يتعرض له أبناؤها في محيطهم بوصفهم أقلية، ليقول إنّ الظلم واحد، مهما اختلفنا حول مصدره وضحاياه.

أدخلت الرواية كل الخلافات داخل الطائفة أيضاً، ولم تركز على الخلافات مع الطوائف الأخرى إلا عبر بعض التلميحات السياسية. وهذا أمر

أحداث توثّق لمرحلة حساسة في تاريخ البحرين

أرادته الرواية بشكل واضح، حتى يكون التركيز والتوجيه للمتلقي على قضية واحدة مع ما يتفرّع منها من قضايا، رغم تداخل قضايا كثيرة معها، خصوصاً ما يتعلّق بالبحرين وأبنائها، ومنها بشكل ملطّف علاقة زاهر بكرة القدم، وعلاقات الأعمام وأبنائهم، وقصص الحب التي نقرأ الكثير منها، وخصوصاً انتصار الحبّ في حياة صادق وضياء في النهاية في مواجهة ظلم الانتماء إلى طائفة. قضايا برأينا كانت أقوى من التركيز على تفاصيل حياة الشيعة. ولو تم التركيز على الشخصيات والخوض في قضاياها النفسية والاجتماعية وعلاقاتها ببعضها وبالمكان وبالزمان وبكلّ مكونات النص الأخرى، وعدم التركيز على صادق ومظلوميته، لكان النص أقوى وأعمق، ولكانت غابة الكاتب منه وصلت بشكل أقوى.

اخطاء اللغة والطباعة

ماخذنا الأساسي على الرواية هو بعض أخطاء اللغة والطباعة. أخطاء الطباعة قد تبرّر، ولكن أخطاء اللغة لا يمكن التغاضي عنها. هي ليست كثيرة ولكن مسؤولية الكاتب والناشر أن يحرّر النص بشكل أفضل. أما لغة الرواية بشكل عام، فكانت لغة سهلة وبسيطة، مناسبة لما حمّلته لشخصياتها، ابتعدت قدر الإمكان عن المحكية، وهو أمر كان يمكن الإفادة منه أثناء التعريف بفئة اجتماعية، من أجل واقعية النص، ولكنّ الكاتب أخذ خياراً آخر وهذا حقه، ولكن كان هنالك بعض الاستسهال، والاستعجال، في بعض الصياغات والسرد... كان يمكن التدقيق فيه أكثر من أجل الإبقاء على لغة النص قوية ومتماسكة.

نهاية الرواية هي الأعمق، خصوصاً عندما نعرف أنّ صادق، الثائر على كل الموروثات، سمّى ابنه حسين وبدأ بالحديث معه عن الحسين والبلاد التي قرّر عدم العودة إليها. وهنا نقطة قوة لو أنّها أخذت مساحة أطول على حساب المساحة التي أخذتها السرديات المعروفة عن الشيعة، أو عن البهائيين، لكان النصّ دخل في صميم الصراعات الفكرية والنفسية للشخصيات بشكل أعمق.

مفهوم الانتماء

«البكاؤون» روايـة عن الشيعة (والبهائيين) بكل تفاصيل حياتهم وشعاراتهم، وبكل تفاصيل انتماءاتهم واختلافاتهم وخلافاتهم، طرحت القضايا ولم تعط الإجابات، بل تركت للمتلقي التفكير في انتمائه الخاص، وإسقاط حياة هذه الفئة على ما يعيشه أو ما يعانيه بسبب انتمائه الطائفي أو الديني أو الحزبي... ونجد غاية الكاتب من نصه بشكل واضح، فمفهوم الانتماء إلى الفئات وإلى الطوائف هو هو في صميم مشكلات هذه البلاد، وقد طرحت الرواية مسائل أكثر عمقاً، وصلت إلى مساءلة الانتماء إلى الوطن، ولكنها في النهاية أعطت إجابة واحدة، كانت في ما يتعلق بالوطن: فها هو صادق يقول لحسين ابنه «لو تدري يا حسين! في بلادي السفن مصنوعة من خشب، والبحر أزرق، ويصعُر كلما كبرت المدينة، والسوق تملؤها رائحة البهار، والرجال يثرثرون كل عصر عند دكة الحي، والأطفال لا يتوقفون عن لعب الكرة في الأزقة». هي نهاية رائعة، تمنّينا لو أنّها كانت في أساس بنية النص!

لمحات

كريمة دلياس

يوثّق كتاب «الحصار الفايسبوكي: يوميات وشهادات» للمغربية كريمة دلياس (دار العائدون ـ الأردن) شهادات لشخصيات عربية وفلسطينية عن ممارسات التضييق والرقابة الرقمية التي تستهدف المحتوى الداعم للقضية الفلسطينية على منصات التواصل الاجتماعي، من أحداث حي الشيخ جراح عام 2021 وصولاً إلى الحرب على غزة. يرصد العمل آليات الحصار الرقمي المتطورة والمتحايلة التي تُكمّم الأصوات المناصرة لفلسطين، في حين تطلق العنان للرواية الإسرائيلية. تُسلّط دلياس الضوء، على معاناة الصحافيين والنشطاء الفلسطينيين الذين يواجهون تهديدات مزدوجة: الاستهداف المباشر بالقصف والاعتقال، والتضييق الرقمي الذي يتتبع تحركاتهم.

فاتحة مرشيد

تواصل الروائية والشاعرة المغربية فاتحة مرشيد في روايتها «ليلة مع رباب: سيرة سيف الراوي» (المركز الثقافي للكتاب ـ بيروت) أسلوبها في المزج بين التأمل الفلسفي والتعبير العاطفي العميق، ناسجة حكاية أسرة تتمحور حول الشيخوخة وحتمية النهايات ومأساة الحب غير المتبادل. تتميّز الرواية بتوظيفها الثري للثقافة الشعبية المغربية عبر أمثال وحكم فلسفية تعكس عمق الحكمة الشعبية وأثرها في تشكيل الوعي الفردي والجمعي.

ميشال فوكو

يكشف ميشال فوكو في كتابه «ما الفلسفة؟» (2023). الصادر عن «دار الساقي» بترجمة الزواوي بغورة، عن رؤية فكرية فريدة لا تزال تحتفظ براهنية لافتة. رغم أن مسوّدة هذا العمل كُتبت قبل أكثر من نصف قرن ولم تُنشر إلا أخيراً. في هذا الكتاب، يُعيد الفيلسوف الفرنسي الراحل تعريف الفلسفة بوصفها خطاباً مادياً ينبغي تحليله ضمن شبكة علاقات مع خطابات أخرى (علمية، أدبية، دينية ويومية) داخل سياق ثقافي محدد. يخالف فوكو بذلك تيار معاصريه الذين انشغلوا إمّا بتحديد جوهر الفلسفة أو إعلان نهايتها، مقترحاً بدلاً من ذلك منهجية جديدة لتاريخ الفكر الفلسفي تتجاوز التفسيرات الكلاسيكية لأعمال كبار الفلاسفة. يبرز فوكو مكانة نيتشه كمفكر أساسي في هذا التحول، باعتباره مَن أطلق مرحلة أصبحت فيها الفلسفة أداة لتشخيص الحاضر، وسعياً إلى كشف ما يشكل راهنية ثقافة ما عبر «أرشيفها الشامل».

أيمن عثمان

يُعيد الباحث أيمن عثمان تقديم «مذكرات نشّال» في كتاب صدر حديثاً عن « دار دوّن» هو عبارة عن تحقيق لمذكرات نُشرت أصلاً في عشرينيات القرن الماضي. تتناول المذكرات حياة المعلم عبد العزيز النّص، الذي يروي قصته بلهجته العامية المصرية، كاشفاً كيف تعلم المهنة في صغره. تصف المذكرات بدقة عالم النشل وطوائفه، من الصبية الصغار إلى الدجالين يرتدون ملابس فاخرة لإحكام خدعتهم، وتكشف عن وجود مدارس للنشل كانت منتشرة آنذاك، بعضها متخصص في سرقة الأثرياء فقط. تعد هذه المذكرات جزءاً من أدب المهمّشين الذي ازدهر في عشرينيات القرن الماضي، وتبرز ثراء اللغة العامية المصرية وقدرتها على «الحكي» الأدبي، موثقة الكثير من المصطلحات الشعبية التي لم تعد مستخدمة اليوم.

مروان الغفوري

تدور أحداث رواية «خمسة منازل لله وغرفة لجدتي» (دار الساقي) للكاتب اليمني مروان الغفوري، بين مدينة تعز وإحدى القرى الجبلية التابعة لها في اليمن، وتُروى على لسان شاب قروي يسترجع فترة انتقاله إلى المدينة لإكمال دراسته الثانوية. تتناول الرواية رحلة هذا الشاب في البحث عن معنى الإيمان الحقيقي، وتستكشف العلاقة بين المُقدّس والفكاهة في الثقافة الإسلامية. تؤرخ الرواية لمدة التسعينيات من القرن العشرين في اليمن، وهي مدة شهدت تنافساً بين الأحزاب والحركات الدينية المختلفة وتأثيرها على المجتمع.

جوني منصور

يقدم المؤرخ جوني منصور في «عقيل آغا، سيرة حياة وأعمال عقيل آغا الحاسي» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) دراسة تاريخية مهمة تتناول شخصية محورية في مدة مفصلية من تاريخ فلسطين وبلاد الشام في منتصف القرن التاسع عشر. يُركّز الكتاب على سيرة عقيل آغا الحاسي، الزعيم المحلي الذي برز في مدة تراجع النفوذ العثماني وازدياد التغلغل الأوروبي في المنطقة. استطاع عقيل آغا أن يفهم مفاتيح اللعبة السياسية المعقّدة في تلك المدة، متبنياً أساليب ذكية مكنته من خدمة الدولة العثمانية بنفوذه المحلي، وبناء علاقات متميزة مع ممثلي الدول الأجنبية في فلسطين، وحماية المجتمعات المسيحية خلال الفتنة الأهلية التي اجتاحت سوريا ولبنان عام 1860، وتوفير الأمن والاستقرار في المناطق الخاضعة لسلطته.

إضاءات

تتداخل الأيديولوجيات والمصالح الجيوسياسية في مشهد عالمي مضطرب، لتنتج تحالفات قد تبدو غريبة للوهلة الأولى. كيف اجتمعت القومية الهندوسية مع الصهيونية واليمين الأميركي على جبهة واحدة؟

عن الروابط العقائدية والفكرية بين الهند وإسرائيل

من رفح إلى كشمير... المعركة (الاستعمارية) واحدة!

علي عواد

تتصاعد الأعمال العدائية بين الهند وباكستان بشكل واضح. وراء هذا التصعيد العسكري دوافع تتخطى المصالح الجيوسياسية والتنافس النووي، وتصل إلى عمق الهوية الأيديولوجية التي تتبناها الهند حالياً. ما الذي يحرك الهند في هذا النزاع؟ ولماذا يبدو هذا الصراع مرتبطاً بعقيدة قومية دينية؟ للإجابة، علينا النظر إلى نقطة أساسية: الهندوتفا.

الهندوتفا: الجذور الأيديولوجية

في بداية القرن العشرين، عاشت الهند صراعاً هوياتياً وسياسياً تحت الاستعمار البريطاني. ضمن هذه الظروف، خرجت أفكار تدعو إلى توحيد الهندوس في كيان قومي موحّد.

مع تنامي القومية الهندوسية، أخذ التأثر بالصهيونية شكلاً واضحاً في الهند، خصوصاً مع توسع نفوذ «الهندوتفا»، وهي أيديولوجيا هندوسية قومية متشددة.

يُعتبر فينايك دامودار سافاركار (1883-1966) المؤسس الفعلي لأيديولوجيا «الهندوتفا»، قدّم في كتابه «هندوتفا: من هو الهندوسي؟» عام 1923 رؤيةً قومية متشددة تؤكد على الهوية الهندوسية كمرجعية وطنية، ورفض اعتبار المسلمين والمسيحيين جزءاً من الهوية الوطنية الهندية لأنهم لا يعتبرون الهند «الأرض المقدسة» لهم.

أعرب سافاركار عن إعجابه بالصهيونية لأنها تسعى إلى إقامة دولة يهودية على أساس عرقي ـ ديني، ورأى في ذلك نموذجاً يُحتذى به لتحقيق «الهند الهندوسية» على حساب الأقليات.

مقولته الشهيرة: «إذا تحقق الحلم الصهيوني، ستصبح فلسطين دولة يهودية، وسنكون سعداء بذلك مثل أصدقائنا اليهود».

بعده، جاء مادهاف ساداشيف غولوالكر (1906-1973)، القائد الروحي لحركة «راشتريا سوايامسيفاك سانغ» (RSS)، الذي كان من أبرز المنظرين للأيديولوجيا الهندوسية القومية.

في كتابه «نحن... أمتنا تُعرّف بهويتها الهندوسية» الصادر عام 1939، أعرب عن إعجابه بالقومية اليهودية في «إسرائيل»، واعتبرها نموذجاً لبناء أمة على أساس نقاء الهوية الدينية.

رأى غولوالكر في الصهيونية تجربةً ناجحة في استعادة «الوطن القومي» وتطهيره من العناصر «الغريبة»، وهو ما دعا إلى تطبيقه في الهند.

في السنوات اللاحقة، خصوصاً بعد صعود حزب «بهاراتيا جاناتا» (BJP) في التسعينيات، تحولت هذه الأفكار من نظريات فكرية إلى سياسات رسمية. عزّز رئيس الوزراء أتال بيهاري فاجبايي (1998-2004) العلاقات الديبلوماسية والعسكرية مع «إسرائيل»، ثم جاء نارندرا مودي (2014 حتى الآن) ليكمل هذا النهج، وكانت أول زيارة لرئيس وزراء هندي إلى الكيان العبري في عام 2017، ما اعتُبر تحوّلاً نوعياً في العلاقات بين البلدين.

نشأ التحالف بين الهندوتفا والصهيونية على أسس إستراتيجية وعقائدية، فاعتمد القوميون الهندوس النموذج الصهيوني الذي يركّز على دولة قومية متجانسة ذات هوية دينية واحدة. واعتمدت حكومة مودي خطاباً معادياً للإسلام وللحركات الانفصالية في كشمير، ما عزّز الروابط العقائدية بين الطرفين. ثم تطورت العلاقة تدريجاً حتى تجاوزت التعاون السياسي والعسكري، واندمجت ضمن هوية سياسية مشتركة تجمع التيارات اليمينية في البلدين.

الهندوتفا في مواجهة باكستان

تعتبر «الهندوتفا» باكستان الهدف المباشر لمشروعها القومي. تُقدم على أنّها مركز التحدي الإسلامي الذي يهدّد الهوية الهندوسية، ما يبرّر التصعيد العسكري ضدها كلما تفاقمت التوترات. في هذا السياق، تتخذ الأعمال العدائية بين الهند وباكستان طابعاً يتجاوز المناوشات الحدودية، ما يمنحها بُعداً عقائدياً تسعى عبره الهند إلى تثبيت قوتها القومية عبر استهداف ما تصفه بـ«العدو الإسلامي».

الحكومة الهندية لا تتردد في الترويج لخطاب يعتبر المواجهة مع باكستان خطوةً ضرورية نحو استعادة «عظمة الهندوس». ويظهر هذا التصعيد بوصفه امتداداً لمشروع أوسع، يهدف إلى إعادة صياغة مفهوم الوطنية ضمن إطار ديني صارم. يندمج الولاء للدولة مع الانتماء للعقيدة الهندوسية، ما يضفي على النزاع بُعداً يتجاوز السياسة التقليدية.

في هذا المشهد، يبدو الولاء للهند أشبه بطقس ديني، إذ يُصور الانتماء القومي كأنّه واجب مقدّس لا يقبل النقاش. أي محاولة للتشكيك في سياسات الدولة، تكتسب طابعاً عدائياً، كأنها تطاول على جوهر العقيدة نفسها. بهذا الشكل، تضع الحكومة الهندية أفعالها ضمن سياق قدسي، يجعل الاعتراض على قراراتها يبدو كأنّه كفر، ويُشعر المواطن أنه جزء من معركة وجودية تهدف إلى حماية روح الأمة.

التماهي مع ترامب

الغريب في هذه القصة أن تيار «الهندوتفا» لم يعد مقتصراً على الهند وحدها، فقد بدأ يتوسع ليشكل تحالفات سياسية على الساحة الدولية. أهمّ هذه التحالفات ظهر في الولايات المتحدة، حيث وجد أرضية مشتركة مع حركة «ماغا» (لنعد لأميركا عظمتها) التي يروّج لها الرئيس ترامب.

من تابع الانتخابات الرئاسية الأخيرة في الولايات المتحدة، يلاحظ تنامياً واضحاً في الوجود الهندي ـ الأميركي داخل أروقة السلطة. شهدت هذه الانتخابات بروز شخصيات عدة ذات أصول هندية، من بينها: كامالا هاريس (نائبة الرئيس السابق جو بايدن)، فيفيك راماسوامي (ترشح للرئاسة عن الحزب الجمهوري قبل أن يتنازل لمصلحة ترامب)، نيكي هيلي (ترشحت للرئاسة)، هيرش فاردان سينغ (ترشح للرئاسة)، كاش باتيل (حليف بارز للرئيس دونالد ترامب الذي أوكل إليه منصب مدير الـFBI)، وأوشا فانس (زوجة جي دي فانس، نائب الرئيس ترامب).

إلى جانب هؤلاء الشخصيات، شهد الكونغرس الأميركي توسعاً في عدد الأعضاء من أصول هندية. أصبح «تجمع الساموسا» يضم ستة أعضاء في مجلس النواب بعد الانتخابات الأخيرة. يشير المصطلح إلى تجمّع غير رسمي يحمل اسم وجبة هندية خفيفة شهيرة، وقد أطلقه النائب راجا كريشنامورثي عن الدائرة الثامنة في ولاية إلينوي عام 2018.

وفي 19 كانون الثاني (يناير) 2025، تجمع مؤيّدو ترامب في احتفال تنصيبه الثاني في واشنطن، إذ شهد هذا الحدث ظهوراً لافتاً لشخصيات بارزة من التحالف الهندوسي الأميركي (American Hindu Coalition) الذي يعدّ داعماً قوياً لترامب. كان من بين الحضور إحدى قيادات HAF (المؤسسة الهندوسية الأميركية)، راجيف باندیت، الذي عبّر بحماسة عن دعم «الهندوس الأميركيين» لإدارة ترامب الجديدة.

قد يبدو من الوهلة الأولى أنّ التيارين مختلفان تماماً، إذ إن «ماغا» حركة قومية أميركية محافظة تدعو إلى استعادة «العظمة الأميركية» عبر سياسات انعزالية، بينما تمثل «الهندوتفا» حركة قومية هندوسية تدعو إلى استعادة «العظمة الهندوسية» داخل الهند.

لكن رغم هذه الفروقات الظاهرة، يتقاطع الطرفان في نقاط عدة:

أولاً، رفض الثقافات الغريبة: يهاجم التيّاران ما يعتبرانه تهديداً لهويتهما الثقافية من قبل التيارات التقدمية.

ثانياً، النزعة المحافظة: يشتركان في رغبة بتعزيز القيم التقليدية، سواء كانت دينية أو ثقافية.

ثالثاً، التضليل عبر «التعددية»: يستخدم كلا الطرفين مفهوم «التعددية» لتبرير مواقفهم الرجعية. مثلاً، يُروَّج لفكرة أن الهند بلد متعدد الديانات والثقافات، لكن في الوقت نفسه تستخدم «الهندوتفا» سياسات تمييزية ضد المسلمين والمسيحيين بحجة الحفاظ على الهوية الهندوسية الأصيلة.

في الولايات المتحدة، كان ترامب يقول إنه «يريد الحفاظ على التنوع الأميركي»، وإنه «يحب كل الأميركيين بغض النظر عن أصولهم». لكنه في الواقع، استخدم هذه اللغة لتغليف سياسات تهدف إلى تقليص الهجرة وتعزيز ما سمّاه «الهوية الأصلية» لأميركا.

ظهر التحالف بين حركة «الهندوتفا» في الولايات المتحدة وحركة «ماغا» بشكل واضح على السوشال ميديا بعدما بدأت مجموعات «الهندوتفا» بتبنّي خطاب مناهضة اليسار التقدمي، واحتفلت بفوز ترامب معتبرةً إياه انتصاراً للقيم المحافظة، ورأت في هذا التحالف فرصة لتعزيز مكانة الجالية الهندوسية في أميركا.

لكن هذا التقارب لم يخلُ من التحديات. مع تولي إدارة ترامب السلطة، بدأت سياسات الهجرة المتشددة تؤثر بشكل مباشر في الجالية الهندية، خصوصاً في ما يتعلق بتأشيرات العمل (1B-H). وأدى ذلك إلى تصاعد الانتقادات داخل حركة «ماغا» نفسها ضد المهاجرين الهنود، ما خلق توتراً داخل تيار «الهندوتفا». ورغم محاولات التيار الحفاظ على صورته كحليف لترامب، إلا أنّ الواقع الجديد أضعف موقفه، وأصبح من الصعب تجاهل الأضرار التي لحقت بالجالية الهندية جراء السياسات الجديدة.

أحلام الاقتصاد والتجارة

في 9 أيلول (سبتمبر) 2023، أُعلن عن إطلاق «الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا» IMEC، في قمة قادة مجموعة العشرين G20 التي عُقدت في نيودلهي. عالم جديد من الروابط التجارية بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا، عبر ممر نقل متعدد الوسائط يضم شبكات السكك الحديد والطرق البرية والبحرية، إضافة إلى بنية تحتية متطورة للكهرباء والهيدروجين والاتصال الرقمي. ظهرت حينها العبارة الدعائية «الهند هي الصين الجديدة»، في إشارة إلى نقل العالم عملية التصنيع إلى الهند بدلاً من الصين. اللافت أن «الهندوتفا» تشكل جزءاً من هذا المشروع، ويُنظر إليها هنا على أنها داعم معنوي لمكانة الهند الجديدة في الاقتصاد العالمي.

بعد عملية «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول (أكتوبر) 2023، وحالة عدم الاستقرار التي أصبحت لازمة لكيان الاحتلال، وُضع مشروع الكوريدور الهندي على الرف في انتظار تحوّل ما في الإقليم. والجدير بالذكر أنه في تلك المدة، كان مستغرباً بالنسبة إلى كثيرين كيفية تعامل نسبة كبيرة من المستخدمين الهنود على منصات التواصل الاجتماعي مع المستخدمين العرب. منشورات لا تنتهي من الشتم والسخرية من الرموز الإسلامية أو من حركات التحرر الفلسطينية، مقابل دفاع مستميت عن ذلك الكيان، وكأن على الشعب الفلسطيني اختيار توقيت تحرير بلده بشكل يناسب أتباع الهندوتفا أيضاً!

المهم، في 13 شباط (فبراير) من العام الحالي، أعلن الرئيس دونالد ترامب عن إعادة إحياء مشروع IMEC، الذي سيربط الهند وإسرائيل وإيطاليا والولايات المتحدة. جاء هذا الإعلان في اجتماع مع رئيس الوزراء الهندي نارندرا مودي في البيت الأبيض. وصف ترامب المشروع بأنه «تطور كبير» يتطلب استثمارات ضخمة، مؤكداً أن بعض هذه الاستثمارات بدأت بالفعل، وأن المزيد من التمويل سيُخصص في المدة المقبلة.

وأشار ترامب إلى أن الممر سيصبح واحداً من أعظم طرق التجارة في التاريخ، إذ سيمتد من الهند إلى «إسرائيل» وإيطاليا وصولاً إلى الولايات المتحدة، معتمداً على ربط الشركاء عبر الموانئ والسكك الحديد وشبكات الكابلات البحرية.

هو الوهم نفسه متكرراً في تاريخ الحركات اليمينية بين الشعوب الملونة، عندما يتصور بعضهم أنهم قد يحظون بقبول حقيقي من قبل حركات البيض المحافظة، اعتقاداً بأنهم مميزون عن غيرهم من الملونين. لكن سرعان ما تنكسر هذه الصورة عند أول احتكاك بالواقع، عندما تكشف السياسات العنصرية عن نفسها وتُعيد التذكير بالحدود غير المرئية لهذا «القبول».

من رفح إلى كشمير، ومن واشنطن إلى نيودلهي، يبدو أنّ هناك خيطاً مشتركاً يجمع بين التيارات المتطرفة حول العالم. إنها ليست مجرد مصادفة أن نجد مجموعات متطرفة في الهند تدعم الكيان الصهيوني، وأن ترى في ترامب زعيماً أيديولوجياً لها، وأن تستخدم خطاباً يشبه خطاب اليمين الأوروبي والأميركي. لم تعد المعركة فقط على الأرض، هي في العقول والأيديولوجيات، ونجاح مقاومتها يكمن في تبني خطاب جديد. فالمعرفة موجودة على الإنترنت، وعند الشعوب، أو المستخدمين بما أنّ الجميع صار متصلاً بالإنترنت، يملكون القدرة على تبادل الأفكار وبناء وعي مشترك.

إن مواجهة هذا المدّ الأيديولوجي تتطلب وعياً جماعياً ينبذ التطرف والعنصرية، ويرتكز على فهم أعمق للروابط التي تجمع هذه التيارات رغم اختلاف مشاربها. إن كان التطرف يتغذى على الانعزال والخوف، فإن المقاومة تبدأ من خطاب إنساني جامع يكرّس قيم الحرية والعدالة الاجتماعية، وتقديم سرديات جديدة قادرة على تفكيك أساطير التفوق العرقي والديني التي تشكل جوهر هذه التحالفات المتطرفة.